

خافضة الزيت

شوال ۱۳۹۱ - نوفمبر / ديسمبر ۱۹۷۱





قطرہ من الزیت تصار الی صنوبرج نافع مفید ..
راجہ مقالہ: مرقۃ صبیانہ کا منہ الزیت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قافلة الزيت

العدد العاشر المجلد التاسع عشر

تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها
إدارة العلاقات العامة - ستونج جاكنا

آداب

- ان من الشعر لحكمة فؤاد شاكر ٤
عهد الطفولة (قصيدة) أمين آل ناصر الدين ٢٤
رأي في اختطاط مدينة القيروان د. عبد الرحمن ياغي ٣١
لن أموت على الرصيف الأيسر (قصة) عبد الوهاب فتال ٣٣
من وحي البحر (قصيدة) مقبل العيسى ٣٨
تراجم اسلامية شرقية وأندلسية عبد الله بن خميس ٣٩
أخبار الكتب ٤٢
من تراجم النساء وسيرهن محمد عبد الغني حسن ٤٧

علوم

- نسمة الحياة د. فؤاد صروف ٢١
طرق صيانة مكامن الزيت فتحي أحمد يحيى ٢٥
الكوازوات أو أشباه المجرات والنجوم نقولا شاهين ٤٣

استطلاعات

- نجران ، فيحاء الجنوب ٧
استنبات اللؤلؤ ٣٥

- كل ما ينشر في "قافلة الزيت" بغیر أقلام هيئة التحرير عن آراء الكتاب أنفسهم ، ولا يعبر بالضرورة عن رأي "القافلة" أو عن إختصاصها .
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في "القافلة" دون إذن مسبق على أن تذكر كـمصدر .
- لا تقبل "القافلة" إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها ، وهي تؤثر تلقى النسخة الأصلية مطبوعة على الآلة الكاتبة ، ومنتجة .
- يتم تنسيق المواضيع في كـل عدد وفقاً لـمقتضيات فئة لا تتعلق بمكانة الكاتب أو أهمية الموضوع .
- تنقيح المقالات على النحو الذي تظهر فيه بجري عادة وفوق ظروف يقتضيها نهج "القافلة" .

المدير العام مصطفى حسن الحان المدير المسؤول علي حسن قاربي
رئيس التحرير منصور مدني المحرر المساعد عوني ابوكشك
العنوان : صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

الغاب عن صورة القافلة

لوحة تعكس مظاهر البهجة والسرور بالعيد السعيد . للفنان : ابراهيم دعوت

عيت زبارك

لعزالي في الموظفين

لأنه لمن ودعني غيب طيتي واليهيحي له اعنتم منكم سجدوا عبر الفطر المبارك للقدر لكم
والفرحوا لكم الله عز وجل والسمي الله عز وجل الى المولى الفخر ابن بعير عبيدكم وعلم المسلمين
كافوا بآيهم من الخير والبركات .. كما يطيب في هذه المناسبة الصغيرة له الشير بالمرور والنفس فراه
التي بزلتموها ومن لم تزلتم بزلتم في سبيل الصالح العام .

وكل ما دارتم بخير

لتن في هلز

رئيس شركة الزيت العربية الأميركية وكبير ادارييها التنفيذيين

يَسْتَقْبِلُ الْمُسْلِمُونَ فِي مِشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا عِيدَ الْفِطْرِ الْمُبَارَكِ وَهُمْ أَقْوَى
إِيمَانًا وَأَكْثَرُ تَضَافُرًا وَأَمْضَى عَزِيمَةً .. وَيَسِرُّ هَيْئَةَ التَّحْرِيرِ أَنْ تَنْتَهِيَ هَذِهِ الْمُنَاسَبَةُ الْمُبَارَكَةُ
لِتَرْفَعَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْعَرَبِ كَافَةً، وَإِلَى جَلَالَةِ الْفَيْصَلِ الْمُعْظَمِ وَوَلِيِّ عَهْدِهِ الْكَرِيمِ،
وَالِى الْقُرَاءِ الْأَفْضَلِ أَخْلَصَ النِّهَانِي وَأَطْيَبَ التَّمَنِّيَاتِ مُسَهِّلَةً إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ
يُعِيدَهُمْ لِأُمْتِهِ رَافِلِينَ فِي ثَوَابِ الْيَمْنِ وَالْأَسْعَادِ وَالرِّفَاقِ ..

وكل عام وأنتم بخير

هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ



الرسالة الشعر والحكمة

بقلم الأستاذ فؤاد شاكر

والطريف حقا في ذبوع حكمة الشعر الجاهلي أنها تسير الى اليوم ، مسيرة الشمس في الدوران ، بالرواية والفهم والتقدير والتداول ، وكأنها لسلاسة ألفاظها وسمو معانيها ، وخلوها من التعقيد ، ضربا من المثل السائر الذي يحفظ عن ظهر قلب ، والذي تتناقله الأجيال ، جيلا بعد جيل ، وقيلا بعد قيل .. ففي شعر الشاعر الشاب ، طرفة بن العبد ، بيت من الشعر تتناقله الألسنة بالحفظ ، والرواية والتتمثيل ، دون أن يعنى بمعرفة صاحبه أو قائله ، هو :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وهذا البيت من الشعر تنظمه سلسلة من أبيات

سابقة ولاحقة ، لهذا الشاعر الناشئ ، هي :

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى

بعيدا ، غدا ، ما أقرب اليوم من غد

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له

بتاتا ، ولم تضرب له وقت موعد

لعمرك ما الأيام الا معارة

فما اسطعت من معرفتها فتزود

عن المرء لا تسأل ، وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدي !!

ومنها قوله :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة

على المرء ، من وقع الحسام المهند

فاذا اكتفينا بتسجيل ما ورد من الحكمة في

قصيدة واحدة لفتى شعراء الجاهلية ، فلنتقل الى

شيخ شعرائها ، زهير بن أبي سلمى الذي اشتهرت

سجل التاريخ نماذج رائعة ، تنبض
بقدر بما في الشعر من الحكمة ، التي يلتقي
عندها جوامع الكلم ، وروائع الحكم . مصداقا
لما جاء في القول المأثور « ان من الشعر لحكمة » .
ولم تقتصر تلك الحكمة على زمان أو مكان ، في
تاريخ الشعر العربي ، بل حفل بها الشعر في
العصر الجاهلي ، ونطق بها الشعراء المخضرمون ومن
جاء بعدهم في صدر الاسلام ، ثم المعاصرون .
ولا يعتبر العصر الجاهلي قبل الاسلام عصرا
جاهليا في مجال الحكمة ومعرفتها ، بل والعمل
بها ، فقد كان ذلك عصر فصاحة وبلاغة .
وجاءت الرسالة المحمدية باعجازها فعملت على
تقويم الحكمة الجاهلية وتنظيمها ، وهدبها الى
المثل العليا الرفيعة ، حتى بلغت مستوى القمة في
السير نحو الكمال الانساني . وقد كان من فضل
الاسلام عليها ، أن طوت الامداء الشاسعة عبر
الآفاق المترامية ، فغزت العالم كله ، وجرى
تداولها عبر الرواية والتسلسل ، كما أخذ الشعراء
ينسجون على منوالها .

وقد نبغ في العصر الجاهلي شعراء سارت
بذكورهم الركبان في مجال الحكمة التي انبثقت
من شعرهم . وفي مقدمة أولئك الشعراء أصحاب
المعلقات ، واضرابهم من الفحول المعروفين ، ولعل
أبرزهم على الإطلاق زهير بن أبي سلمى الذي
اشتهرت قصيدته بما اشتملت عليه من الحكم
السامية التي هي مثال للخلق العربي الأصيل ،
وهو أكبر الشعراء سنا في زمانه ، الى جانب زميله
طرفة بن العبد البكري أصغر الشعراء وأصحاب
المعلقات سنا ، وكلاهما ينهل من منهل واحد
هو منهل الحكمة والمعرفة .

معلته بما فيها من الحكمة الرفيعة العالية اذ وردت في ختامها الأبيات التي كانت لها بحق مسك الختام . منها :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولاً ، لا ابا لك يسأم
وأعلم ما في اليوم والأمس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطيء يعمر فيهرم
ومن لم يصانع في أمور كثيرة
يضرس بأنياب ، ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ، ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيخل بفضله
على قومه ، يستغن عنه ويلزم
ومن يوف ، لا يذمم ومن يهد قلبه
الى مطمئن البر لا يتجمجم
ومن هاب أسباب المنايا يئلنه
وان يرق أسباب السماء يلم
ومن لم يذ عن حوضه يلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغتر بحب عدوا صديقه
ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما تكن عند امرئ من خليفة
وان خالها تخفى على الناس تعلم
وكائن ترى من صامت لك معجب
زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ، ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم
وان سفاه الشيخ لا حلم بعده
وان الفتى بعد السفاهة يحلم
سألنا فأعطينا وعدنا فعدتم
ومن يكثر التسأل يوماً سيحرم

ومن روائع الشعر العربي التي تنبض بالحكمة ما جاء على لسان لبيد بن ربيعة العامري ، لأحد الشعراء المجيدين وهو محمد عامر بن صعصعة ، من احدي بطون هوازن من مضر :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح
ومنها قوله أيضا :
وما الناس الا كالديار وأهلها
بها يوم حلوها ، وراحوا ، بلاقع
وما المال والأهلون الا ودائع
ولا بد يوماً أن تسرد الودائع
لعمرك ما تسري الضوارب بالخصي
ولا زاجرات الطير ، ما الله صانع
وما الناس الا عاملان ، فعامل
يتبر ما بيني ، وآخر رافع
فمنهم سعيد أخذ بنصيبه
ومنهم شقي بالمعيشة ، قانع
ومن فحول شعراء الجاهلية ، الذين عرفوا
بالحكمة العميقة واتسم شعرهم بعمق المعاني ،
عبيد بن الأبرص الأسدي ، الذي يقول :
كفى زاجراً للمرء أيام دهره
تروح له بالوعظطات وتغندي
اذا أنت طالبت الرجال نواهم
فعف ، ولا تطلب بجد ، فتكد
عسى سائل ذو حاجة ان منعه
من اليوم سولاً ، ان يسرك في غد
ولا تتعدن عن سعي ما قد ورثته
وما اسطعت من خير لنفسك فازدد
وبالعدل فانطق ان نطق وان تكن
لذي الذم فاذمه ، وذو الحمد فاحمد
ولا تأملن ود امرئ مثل خيره
ولا تك عن وصل الصديق بأحيد
اذا أنت حملت الخون أمانة
فانك قد أسندتها ، شر مسند

ولا تظهرن ود امرئ قبل خيره
وبعد بلاء المرء ، فاذمم أو احمد
ويقول « المنقب العبدى » من شعراء الجاهلية
أيضا هذا القول الذي تداولته الأسنة بالرواية
والحفظ ، دون أن يعنى كثير من الناس بمعرفته
قائله :

لا تقولن اذا ما لم ترد
أن تتم الوعد ، في شيء « نعم »
حسن قول نعم من بعد لا
وقبح قول لا بعد نعم
ان لا بعد نعم فاحشة
فبلا ، فابدأ اذا خفت الندم
فاذا قلت نعم فاصبر لها
بنجاز الوعد ان الخاف ذم
وهذا « الأفوه الأودي » أحد فحول شعراء
الجاهلية يضع أساسا للحكم الصالح ، وينير
السبيل أمام الحكام ، في خمسة أبيات من الشعر ،
كان الملك عبد العزيز بن سعود رحمه الله ،
يتمثل بها في أحاديثه كلما عنت له المناسبة التي
تدعوه الى الاستشهاد بذلك المعنى . وهي قوله :
البيت لا يبنى الا على عمد
ولا عماد اذا لم ترس ، أوتاد
فان تجمع أوتاد ، وأعمدة
وساكن ، بلغوا الأمر الذي كادوا
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة ، اذا جهلهم سادوا
تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت
فان تولت فبالأشرار تنقاد
اذا تولى سراة القوم أمرهم
نما على ذلك أمر القوم وازدادوا
كان العرب قديما يفردون بيتا من الشعر
بالفضل والتقدير ، فيفضون له بالتفوق حين
يقولون ان أغزل بيت هو قول القائل كذا . وأمدح
بيت ، هو قول الآخر كذا ، وأهجى بيت هو

قول الثالث كذا . وتلك أفضية قديمة صدرت فيها أحكام متعددة متباينة لم تظفر باجماع . فمثلا قالوا ان أغزل بيت من الشعر قول بشار :

أنا والله اشتهي سحر عينيك
وأخشي مصارع العشاق
وأمدح بيت ، بيت لجريير قاله لعبد الملك بن مروان الخليفة الأموي :

أستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين ، بطون راح
وأبلغ بيت في الموااة ، قول أبي ذؤيب الهذلي :

أبتها النفس اجملني جزعا
ان الذي تحذرين ، قد وقعا
ومع هذه الخلافات المتعددة في شأن هذه الأفضية ، حيث لم يقع اجماع واحد على قبول أحكامها فهناك بيت واحد من الشعر ، ظفر باجماع الرأي في جميع الأفضية الأدبية على أنه أصدق بيت في الشعر العربي كله ، هو قول لبيد بن ربيعة العمري :

ألا كل شيء ، ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل
وهذا البيت ضمن قصيدة للبيد ، منها :

ألا تسألن المرء ماذا يحاول
أنحب فيقضي ، أم ضلال وباطل ؟

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم
بلى كل ذي لب الى الله واصل

ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

وكل اناس سوف تدخل بينهم
دوبية ، تصفر منها الأنامل

وكل أمرى يوما سيعلم غيبه
إذا كشفت عند الآله الحواصل

هذا بعض ما حفل به الشعر الجاهلي ، مما ينطبق عليه القول المأثور ان من الشعر لحكمة . أما

الشعر الاسلامي ، فهو دون ريب أحفل بتلك المعاني بعد أن زادها الاسلام شرفا وسموا ونبلا . ويكفي أن نذكر أن في الشعر الاسلامي قصائد بكاملها قيلت في غرض واحد ، وهو قيد الحكمة الشاردة في سمط رائع من النظم ، مثل قصيدة الشفري ، التي أطلق عليها اسم « لامية العرب » والتي يقول في مطلعها :

أقيموا بني أمي ، صدور مطيكم
فاني الى قوم سواكم ، لأميل
فقد حمت الحاجات ، والليل تعم
وشدت لطيات ، مطايا وأرحل

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى ، متعزّل
لعمرك ما في الأرض ضيق على امرىء

سرى راهبا أو راغبيا ، وهو يعقل
الى آخر تلك القصيدة التي تكاد تبلغ أبيتها المائة بيت .

وهناك القصيدة المشهورة المصورة التي قالها أبو بكر محمد بن الحسين بن درمز الأزدي التي تبلغ المائتي بيت ، والتي حفلت بالمعاني الحكيمة السامية . وهناك شعراء نبغوا في العصر الاسلامي ، وامتازوا بتسجيل الحكمة الواردة ، والموعظة الشاردة ، بل منهم من تخصص فيها وعرف بها ، فأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبّي ، والذي قيل عنه انه لو لم يكن شاعرا ، لكان حكيما لغلبة الحكمة على شعره ، وهو الذي يقول :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
وعناهم من شأنه ما عنانا

وتولوا بغصة كلهم منه
وان سر بعضهم أحيانا

كلما أنبت الزمان قناة
ركب المرء في القناة سنانا

ومراد النفوس أصغر من أن
تعداى فيه ، وان نتفانى

وإذا لم يكن من الموت بد
فمن العجز أن تموت جيانا
وهو القائل :

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير
كطعم الموت ، في أمر عظيم

وهو القائل :

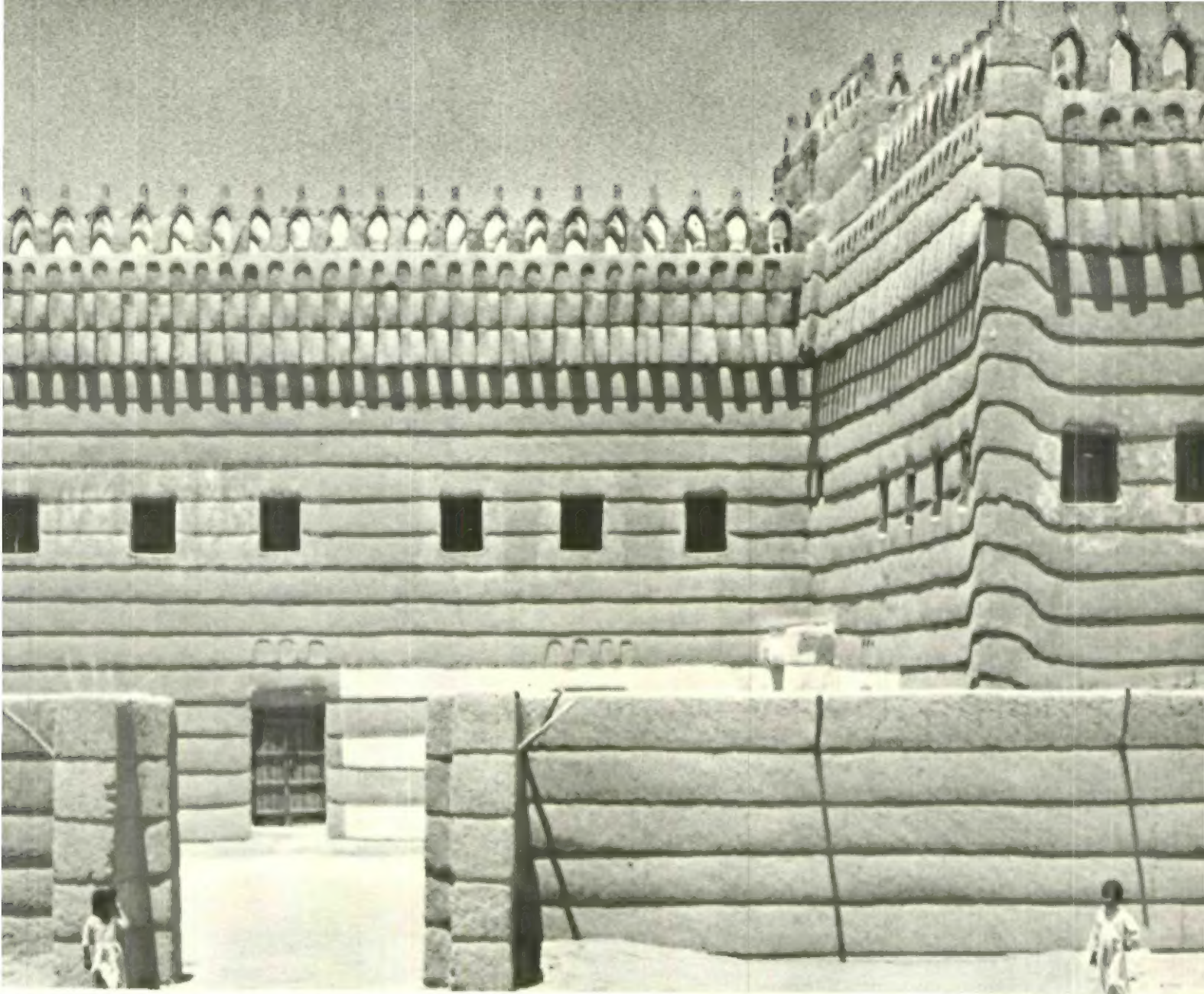
أعز مكان في الدنا سرج سابح
وخير جليس في الزمان كتاب
وهو القائل :

ذل من يبط الذليل بعيش
رب عيش أخف منه لحمام
من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرح ، بميت ايلام
وحسبنا هذه الملحمات من حكم أبي الطيب فهي قليل من كثير يعرف الجميع نواحي الجزر والمد فيها ، بما لا يمكن الا حاطة به في عجلة ، أو مقالة أو بحث !

وهناك أيضا العديد من الشعراء الذين عرفوا بارتداد الحكمة في شعرهم ، مثل : أبو تمام ، وأبو العتاهية ، والشريف الرضي ، وغيرهم من الانداد والاضراب ، ممن جاء شعرهم منهلا للحكمة ، وموردا لصالنها المنشودة .

ليس من المستطاع أن نستمر في البحث الى مداه البعيد ، وحسبنا أن نشير في هذا المجال ، الى الشعراء المخضرمين ، وصدر الاسلام ، بل الى الشعر المعاصر ، فنرى بين طياته من روائع الحكم ، وجوامع الكلم ، ما حفلت به تلك المجلدات التي هي في متناول الأيدي والافهام . وقد أردنا أن نخص الشعر الجاهلي بظاهرة الحكمة في شعره وشعراته ، لنرين ما للاسلام من فضل في تهذيب تلك الحكمة وتنظيمها حتى بلغت الكمال المطلق ■



أسلوب البناء القديم لا يزال الطابع الغالب على كثير من البنيان في منطقة نجران .

نجران



هل زرت نجران حياءً لده نجراننا وجاهواها الغيث قطا لدو هتانا
تري بها الحبيب يبرولينا وقبت عينك والزهرة ما وفتانا



وجه من نجران يمثل النخوة والفراسة العربية .

سبلاء الجنوب

انبلاج صُبحٍ جَدِيدٍ مِنَ النُّطُورِ ،
فَحَقَّقَتْ فِي غَضُونِ سَنَوَاتٍ
مَابَدَلْ كَثِيرًا مِنْ مَعَالِمِهَا .

مَنْطَقَةٌ كَانَتْ تَعِيشُ حَيَاةً رَتِيبَةً
تَجَدَّرَ أَحْدَاثُ مَا ضِيَهَا الْعَرَبِيُّ ، إِلَّ
أَنْ أَمْتَدَّتْ إِلَيْهَا يَدُ الْعُمَرَانِ
وَالْإِصْلَاحِ ، فَهَبَّتْ مِنْ سَبَانِهَا لِتَشْهَدَ



جانب من شارع الملك فيصل المؤدي الى قلب مدينة نجران القديمة ، وقد ازدانت جانبيه بالأشجار .

المباني الحديثة التي أخذت تظهر في أحياء المدينة . وصلنا الساحة التجارية التي تقوم في وسط المدينة ، وتعتبر قلب مدينة نجران النابض ، ثم قفلنا عائدين الى المدينة الفيصلية التي تبعد عن مدينة نجران القديمة نحو عشرة كيلومترات ، حيث استقر بنا المقام . ولم يكتم المصور المرافق ، اثر هذه الجولة الخاطفة ، دهشته واعجابه لما طرأ على هذه المدينة من تطور سريع جعله يقول : هذه ليست نجران التي أعهد لها وقد زرتها منذ ست سنوات فقط

فساحة تقوم عليها فيلات أنيقة ، ومدارس شامخة ، ومبان حكومية حديثة الطراز ، علمنا فيما بعد أنها « المدينة الفيصلية » التي تم تخطيطها عام ١٣٨٥ هـ . واستأنفنا السير على الطريق المعبد بين جبال بركانية شاهقة توجي بجلال المنطقة التي تتخللها بساتين ممرعة تنتصب فيها أشجار النخيل الباسقات كالعرائس ، الى أن دخلنا في « شارع الملك فيصل » ، وهو شارع طويل ذو اتجاهين يشق مدينة نجران القديمة من وسطها ، وتحف به الأشجار الظليلة . وعلى هذا الشارع الزاخر بالحركة تقوم بعض المحلات التجارية والمنازل القديمة السامقة تتحدى بطرازها العريق الأخاذ

أن هبطنا في مطار نجران عند العصر حتى استقبلتنا نسائم باردة لم تكن نتوقعها في شهر مايو . وكانت دهشتنا كبيرة عندما أخبرنا سائق السيارة التي أقلتنا من المطار الى مدينة نجران القديمة « أبا السعود » أن الحرارة تهبط أثناء الليل حتى تصل الى ٨ درجات مئوية ، ونصحنا بأن نلتحف عند النوم ، وأضاف قائلاً . وقد علم انا قادمون من منطقة تشتد فيها الحرارة والرطوبة في مثل هذا الوقت ، ان أهالي نجران لا يستعملون مكيفات الهواء حتى ولا المراوح . لم نبتعد كثيراً عن المطار باتجاه الغرب حتى مثلت أمامنا مدينة حديثة التخطيط ، ذات شوارع



مبنى البلدية الحديث في المدينة الفيصلية تزينه الأزاهير .



المحراث من المعدات الزراعية الحديثة التي شقت طريقها الى أرض نجران .



س ما تشاهده في هذه الصورة عتق جمل أو رأس حية كما يبدو لأول وهلة ،
مشهد لأحد التشكيلات الصخرية في جبل « المساة » في منطقة نجران .

وادي الفرع في اليمن ، بالإضافة الى بعض الشعاب في تلك الجهة منها شعب التريه ، والجعله ، وشوك ، والركب . ثم ينحدر الوادي نحو الجنوب الشرقي ، وعندها يجتاز جبل « رُعوم » الذي يقف معترضا له ، يتسع مجراه بانضمام وادي « نُهوقه » اليه من الجنوب . وفي هذه المنطقة يشق الوادي مجراه في سهل فسيح أخضر تنعكس عليه ظلال الجبال الداكنة السماء التي تحف به من الشمال والجنوب والشرق فتكسبه روعة وجمالا . وتتخلل هذه الجبال شعاب وأودية كثيرة تأخذ طريقها نحو الوادي فتغذيه بالمياه وما تجرفه من الطمي اثر

لا شك في أن موقع مدينة نجران الممتاز وطبوغرافيتها القريدة قد أكسبها منذ القدم أهمية بالغة ، وجعلها منها مركزا تجاريا مرموقا . فهي تقع في قلب الوادي العظيم الذي يسمى باسمها . وتجتمع روافد هذا الوادي ، المنحدرة من جبال اليمن المتاخمة لمنطقة نجران من الجنوب الغربي ، في مكان ضيق بين جبال بركانية شاهقة يسمى « المضيق » على بعد كيلومترين غربي « الموفجة » ، وهي أول قرية في أعلى الوادي . ومن أشهر تلك الروافد التي تغذيه بالسيول من الغرب وادي العرض

أين تقع نجران



وشيخهم الحالي شرقي بن جابر أبو ساق ، وآل جشم وشيخهم سالم بن سلطان بن منيف ، وآل مواجد وشيخهم جابر بن حسين بن نصيب . ويشغل معظم السكان في الزراعة والتجارة وتربية المواشي وفي وظائف الدولة المختلفة ، كما يشغل البعض في الصناعات المحلية وفي الأعمال المهنية . أما الإمارة المركزية للمنطقة فهي في المدينة الفيصلية بعد أن كانت سابقا في مدينة نجران القديمة ، ويتولى شؤونها سعادة الأمير محمد بن خالد السديري . ويتبع إمارة منطقة نجران ٢٣ إمارة فرعية موزعة في قرى المنطقة ، أقصاها إمارة شرونة في قلب الربع الخالي على بعد ٦٠٠ كيلومتر شرقي نجران ويَدُمُهُ في جبال التنظيم على بعد نحو ٢٠٠ كيلومتر شمالي نجران .

وفي المنطقة واد آخر لا يقل شأنًا عن وادي نجران زراعة وكثافة سكانية هو « وادي حبونا » الواقع شمالي وادي نجران ، وينحدر من الغرب ويتجه شرقا على موازاة وادي نجران حتى يغور أيضا في الربع الخالي . ويبعد وادي حبونا عن وادي نجران حوالي ٣٠ كيلومترا في خط مستقيم . ويرفد هذا الوادي عددا من الأودية من الشمال والجنوب والغرب أهمها وادي قَطَنَ ، وثَارَ ، وتريمه ، والحَبَابَة ، والفَيْض ، وكُتْنَه ، وصِيحَان ، وحَلَال ، وعِرْقَان ، وقُرَا ، وسِمِر ، وسُرُوم آل أبا الطَّحِين ، وسرُوم الحَارِث ، وسرُوم الزَّيَادِين . وتنتشر القرى الزراعية على امتداد هذا الوادي وروافده ، ومنها السَّيْت (الخضرة) المركز الرئيسي في الوادي ، وقَابِل مُنِيف ، وقَشِيعه ، وعَصِيم ، وبني هَمِيم ، والنَّقْعَا ، والمَجْمَع ، والوَّاحِي ، وغَنِيمَة ، وبير فَرْسَه ، والرُّبِيع ، والجَفْنَة ، وأم الحَوْض ، والخَانِق ، والْقَرْن ، وبدر الجنوب ، والحَرَشَف ، وهَدَادَه .

ويتمي سكان منطقة نجران الى « يام » إحدى القبائل العربية المشهورة التي لها مواقف تاريخية مشرقة ، وتتفرع الى ثلاثة فروع هي : آل فاطمة

هطول الأمطار ليصبح من أنحصب بقاع الأرض وأجودها تربة . ومن أهم الشعاب والأودية التي ترقد وادي نجران من الشمال شعب بُرَّان ، ووادي الرِّغَام ، ووادي « أبا الرِّشَاش » ووادي شِلِيَه ، ومن الجنوب ، وادي نَهْوَه ، وسَقَام . ويمر الوادي بقرى زراعية متصلة تنتشر على جانبيه مجراه وعلى امتداد يبلغ نحو ٥٠ كيلومترا ، ثم يتجه شرقا في خط مستقيم حيث يغض في رمال الربع الخالي . وتعتزم وزارة الزراعة إقامة سد ضخم على هذا الوادي لاستغلال مياهه في أعمال الري وتوليد الطاقة الكهربائية .

وتعتبر مدينة نجران القديمة « أبا السعود » واسطة العقد بين قرى الوادي الخصيب التي منها المَوْجَنَة ، وزُور الحَارِث ، وزُور وادْعَة ، والجُعيد ، والصفَا ، وشعب بُرَّان ، والحَضَن ، والمُخَلَّاف ، والشَّبَهَان ، والمُطْرَاطَه ، والبطحا ، وصنْعَا ، وعَوِيْرَه ، ودَحْضَه ، وأبو غُبَار ، وطَعْنَه ، والفَيْصَلِيَه ، وصَاغَر ، والمُنَجَّم ، والجَرْبَة ، والقَابِل ، وِرْجَلَا ، والعَرِيْسَة ، والخَضْرَاء .

أما الجبال المحيطة بوادي نجران فتتميز عامة بارتفاعها الشاهق وانحدارها التدريجي مما يجعل الصعود الى قممها سهلا ، بل مرغوبا فيه اذا ما أحب المرء أن يتمتع ناظريه بأروع ما حبت الطبيعة وادي نجران من مناظر طبيعية خلابة وألوان فاتنة . وبما يضيف على تلك الجبال مسحة نادرة من الجمال صخورها الصلدة البركانية والبازلتية والغرانيتية والرملية ذات التشكيلات البديعة التي لعبت عوامل التعرية دورا كبيرا في تكوينها ، هذا بالإضافة الى أن بعض الجبال تنتهي بقمم مستوية مربعة كالمصاطب . ولعل جبل أبو هَمْدَان « الواقع غربي الوادي قبالة « جبل رَعُوم » ، هو أعلى جبل في المنطقة ، اذ يبلغ علوه نحو ١٤٥٠ مترا ، ويشرف على الوادي بقراه وبساتينه . ومن الجبال الأخرى المحيطة بالوادي العَجْمَة ، وقَرْن سِرِي ، والخَلْقَه ، ونَيْسَبِيَه والقَدِير ، والحَمْرَا ، والسُّودَا ، والنَّصْلَه ، وتَكْتُمَه ، والدَّرِيْب .

أما منطقة نجران الواقعة في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية فهي من الناحية الادارية تضم أراض شاسعة منها الربع الخالي في الشرق . ويحدها من الجنوب اليمن والجنوب العربي ، ومن الشمال تمتد حتى بلاد تَشْلِيْث ، وبلاد السَّيْلِيل ، ووادي الدَوَاسِر ، ومن الغرب ظهران الجنوب ، وبلاد قحطان ، وعسير .

تعتبر هذه المنطقة من أعرق مناطق الجزيرة العربية حضارة وأكثرها ازدهارا بحكم صلتها المباشرة بالدول العربية القديمة التي قامت في جنوب الجزيرة وهي : معين ، وسبأ ، وقتبان ، وحضرموت ، وحِمير . فلا غرو ، والحالة هذه ، أن تكون نجران مهد ثقافات عربية ومركز صراع للديانات والمعتقدات القديمة .

ولذا كانت نجران اليوم محط أنظار المؤرخين والباحثين وعلماء الآثار الذين تحدوهم الرغبة الى التعرف الى معالم تلك الحضارات القديمة التي تعاقبت عليها لأحقاب طويلة ، والوقوف على الآثار والنقوش التاريخية المنتشرة في أرجائها بغية استكمال الحلقات المفقودة في التسلسل الزمني لتاريخها .





الأطفال يتعلمون قراءة القرآن في إحدى مدارس نجران .

تكثر في مزارع نجران عرائش كروم العنب .



ونجران (١) ، على ما يقال ، سمي كذلك نسبة الى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من نزلها وعمرها ، وإنما صار الى نجران لأنه رأى رؤيا فهايته ، فخرج رائدا حتى انتهى الى واد فزل به فسمي نجران به . أما نجران لغة فهو خشبة يدور عليها رتاج الباب ، وفي ذلك المعنى قال الشاعر :

وصبت الباب فسي النجران حتى

تركت الباب ليس له صرير
ومع ما يكتنف تاريخ المنطقة من غموض في بعض نواحيه ، واختلاف الباحثين والمؤرخين في تحديد الأمكنة والأزمنة من جهة ، وفي تقرير المسائل الأثنولوجية المتعلقة بالحكام والقبائل من جهة أخرى ، نرى أن نقصر استعراضنا للناحية التاريخية على ما توصل اليه بعض المؤرخين من حقائق لها مساس مباشر بنجران مستمدة من النقوش والكتابات التي عثر عليها .

ومن المعروف أن نجران قد انضوت تحت لواء دولة معين التي بسطت نفوذها على جنوب الجزيرة العربية ، بل وسيطرت عليها بكاملها ، يدل على ذلك الكتابات المعينية التي عثر عليها في المحطات المحصنة التي أنشئت على طول الطريق التجاري العظيم الممتد من اليمن الى ثغور البحر الأبيض

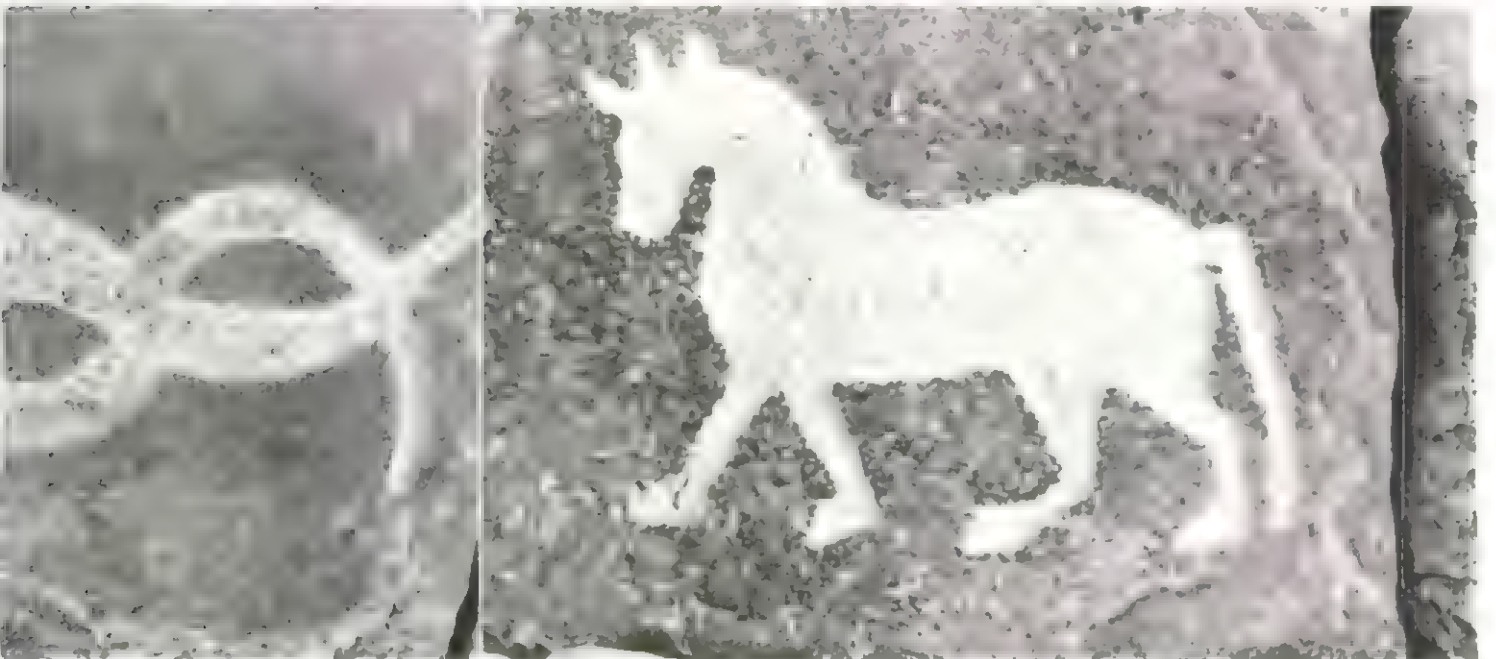
(١) « معجم البلدان » لياقوت الحموي .

المتوسط ، لحماية القوافل التجارية التي كانت تحمل البخور واللبان والتوابل والمر والعطور والحجارة الكريمة وغيرها . ولا يستبعد أن تكون نجران قد أصبحت ، في عصر الاضمحلال الذي أصاب دولة معين ، مدينة مستقلة لها ملوكها شأن غيرها من المدن المعينية .

أما أول اشارة صريحة الى نجران في التاريخ فقد كشف النقاب عنها المستشرق النسوي « ادوارد جليسر - Edward Glaser » ، الذي قام في الثمانينات من القرن التاسع عشر بعدة رحلات علمية عثر خلالها على نقوش في أنقاض « صرواح » في أعلى سد مأرب ، الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ، يعود تاريخها الى عهد المكربين السبئيين أو الملوك الكهنة (٨٠٠ - ٦٥٠ ق.م) الذين يعود اليهم الفضل في ارساء قواعد دولة سبأ وبسط نفوذها وبناء سدود الجنوب التاريخية . فقد ورد في تلك النقوش اسم المكرب « سمح علي بنوف » الذي حكم حوالي عام ٦٦٠ ق.م . وتشير الكتابة الى تعمير هذا « المكرب » لسد « رَحَب » للسيطرة على مياه السيول . ولما تولى الحكم بعده ابنه « يشع أمر بين » حوالي ٦٤٠ ق.م . أدخل تحسينات كبيرة على سد مأرب وأنشأ له فروعاً جديدة ، وعمل على

تعلية سد « رَحَب » القديم ، كما بنى سد « حَبَاض » . ومن ثم أخذ يوسع رقعة الدولة ، فجرد حملة على منطقة « مُحَامَر » التي يحكمها الملك « عَضْرَال » . و « محامر » هذه منطقة أو قبيلة في نجران عاصمتها « رقعات » ، وتضم أيضا ولايتي « عامر » و « عوهب » . وتخبرنا النقوش أن هذا المكرب قتل ٤٥ ألفاً من نجران وأخذ ٦٣ ألفاً من أهلها أسرى . وغنم ٣١ ألف رأس من الأبقار والأغنام ، ثم أحرق تلك المنطقة وتركها فقرا يبابا . على أن نجران ، كما يبدو ، استعادت بعض ازدهارها بعد تلك الحملة الجائرة . الى أن تولى الحكم « كرب إل وتر » حوالي عام ٦٢٠ ق.م . وهو آخر مكرب سبئي باجماع المؤرخين . فبعد أن وطد أركان دولته راح يوجه أنظاره الى المدن المعينية فاستولى عليها ، ثم توسع شمالا فأخضع الجوف ، ما بين حضرموت ونجران ، وجرد حملة على نجران قتل فيها ٥٠٠٠ رجل من محامر وعامر وعوهب ، وأسر ١٢٠٠٠ من أهلها ، وساق أمامه ٢٠٠ ألف رأس من الماشية . بيد أن هناك من المؤرخين مثل « عبدالله فيليبي » من يعتقد بأن « رقعات » عاصمة المنطقة ، هي التي أصبحت تعرف في العصور الاسلامية بمدينة « الأخدود » . ومن بعد ذلك

في مدينة « الأخدود » الأثرية تظهر بعض النقوش والرسوم المنحوتة على بقايا جدران القصور الأثرية .





احدى القلاع القديمة المنتشرة في وادي نجران وهي مبنية بالطين المخلوط بالطين ويبلغ ارتفاعها حوالي عشرين مترا.

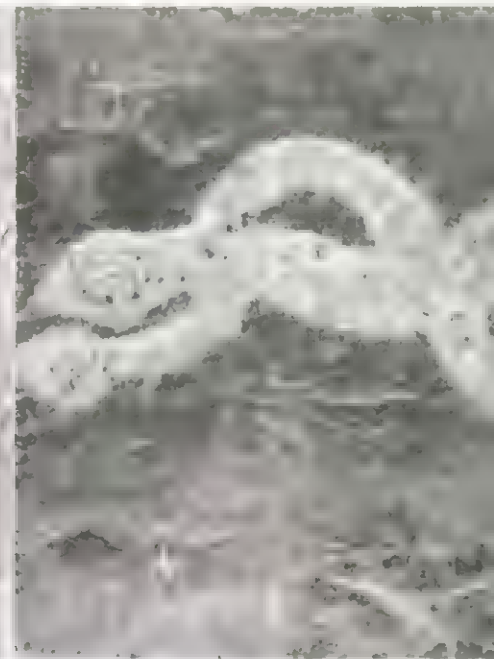
«زرعة بن تيان أسعد» الملقب بذي نواس ، لارساله ذواثب من شعره على ظهره ، وهو آخر ملوك التبابعة من بني حمير ، وقد تمكن بجرأته أن يستعيد ملك آباه بعد أن قضى على «لخيتته» الذي اغتصب الملك وراح يعيش في البلاد فسادا . والمعروف أن الملك ذا نواس اعتنق اليهودية ، ولما بلغه انتشار النصرانية بنجران ، عن طريق «فيمون» أحد المبشرين من أتباع الملة الصحيحة الذين قدموا الى نجران من الشام ، سار اليهم بجند من حمير ، فجمعهم ثم دعاهم الى اليهودية ، ولما امتنعوا خدّ لهم الأخاديد وحرقهم فيها وهدم بيعتهم ، وقيل انه قتل منهم نحو عشرين ألفا . ولم يكن حادث تعذيب نصارى نجران يبعد العهد عن الاسلام ، فقد أشار اليه القرآن الكريم بايجاز ، في سورة البروج : «قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود .»

وقد اتخذ الأحباش (٣) من ذلك الحادث ذريعة لغزو بلاد حمير ، فأرسل النجاشي جيشا لجبا بقيادة أبرهة الأشرم ، ولما رأى «ذو نواس» أن لا طاقة له بهم ركب فرسه واعترض البحر فاقتحمه فكان آخر العهد به . ثم خضعت هذه

لم يعد يسمع عن نجران شي يذكر حتى قيام الحملة الرومانية الفاشلة على الجنوب العربي عام ٢٤ ق.م. بقيادة «أوليوس غالوس» - Aelius Gallus « طمعا في الاستيلاء على تجارة الطيوب والتوابل ، ويستدل مما كتبه «سترابو» - Strabo في وصف هذه الحملة أنها في طريق عودتها من مدينة «مأرب» - Marsiaba « بلغت مدينة «نجران» - Negrana « في تسعة أيام ، وهناك وقعت معركة بين الرومان والوطنيين ، غادر على أثرها «اليوس غالوس» المنطقة ، فوصل بعد مسيرة أحد عشر يوما الى موضع يعرف بـ «الآبار السبع» لوجود آبار فيه ، ثم اتجه شمالا . ، وخضعت نجران ، بعد أن دب الوهن في أوصال دولة سبأ وقتبان ، لدولة حمير (١١٥ ق.م- ٣٤٠م) وكانت قد نزلت القحطانية ، وهم طائفة من قبيلة جرهم ، في نجران ، ولما غلبهم عليها بنو حمير صاروا ولاية لهم ، وكان كل من يحكم نجران منهم يلقب بالأفمي ، وأشهرهم أفمي نجران الجرهمي (٢) الذي احتكم اليه مضر وربيعة واياذ وانمار أولاد نزار بوصية من أبيهم . وقد أورد المسعودي في كتابه «مروج الذهب» قصتهم كاملة وهي لا تخلو من الطرافة والعذوبة . ومن الذين يقرن اسمهم بتاريخ نجران الملك

(٢) «مروج الذهب ومعادن الجوهر» للمسعودي .

(٣) «تاريخ العرب قبل الاسلام» لجواد علي .



أشرف نجران

تعتبر نجران من المدن القديمة التي تحتل مكانة خاصة في التاريخ ، فهي تضم معالم أثرية بالغة الأهمية تحتاج الى من يتوفر على دراستها ويسلط الأضواء الكاشفة على جوانبها . وتسهم « جمعية التاريخ والآثار » بجامعة الرياض بقدر كبير في جلاء الغموض الذي يكتنف جوانب عديدة من التاريخ العربي قبل الاسلام ، وذلك بدراسة النقوش والرسوم التي تزخر بها هذه المنطقة . وأول المعالم الأثرية في المنطقة « مدينة الأخدود » الواقعة في أرض منبسطة على حافة وادي نجران الجنوبية بين قرية « القابل » من الشمال وجبال السودا والحمرات والعرق من الجنوب . وهي تبعد عن مدينة نجران القديمة « أبا السعود » حوالي ٤ كيلومترات . ومن خلال النظرة الأولى على انقاضها قد يتبادر الى الذهن أن زلزالا شديدا قد حاق بهذه المدينة فدمرها . أما اذا أخذنا بالحقائق التاريخية التي وصلتنا ، فيمكننا القول بأن تدمير المدينة كان على يده « كرب إل وتر » الذي يزعم أنه أحرقها . ويبدو أن مدينة الأخدود كانت محاطة بسور لا تزال بعض آثاره قائمة ، ودخل السور قصور وقلاع عديدة من أبرزها قصر مربع يقوم في وسط المدينة لا تزال جدرانها قائمة . وله باب من الجهة الشرقية وهو مبني بحجارة ضخمة مقصبة يبلغ طول الحجر الواحد منها مترين وعرضه مترا . ويلمح الزائر على بعض الأحجار في جدران القصر كتابات قديمة لا يتجاوز عدد حروفها ١١ حرفا ، كما يرى رسوما منحوتة على حجارة أخرى تقع ضمن الجدار الشمالي ، وتضم فرسا وجملا وحيتين ملتفتين على بعضهما البعض وكف آدمي وقدمه . وتنتشر على أرض الأخدود قطع الفخار والآجر ، وتكثر فيها الحفائر .

ومن المعالم الأخرى التي تزخر بها مدينة الأخدود ، حجر رحي ضخم قطره متران وارتفاعه متران تقريبا ، وهو حجر من الغرانيت مرصع بحبيبات بيضاء وحمرات تتوهج في أشعة الشمس ، وبالقرب من الرحي تقوم منازل قديمة يطلق عليها قرية ابن الثامر « نسبة الى « عبد الله بن الثامر » الذي تقول الرواية أنه آمن بما بشر به « فيميون » الأنف الذكر ، وتبعه فيما بعد أهل نجران ،

بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم الى الاسلام ثلاثا ، فان أجابوا أقام فيهم وعلمهم شرائع الاسلام ، وان لم يفعلوا قاتلهم . فخرج اليهم ودعاهم الى الاسلام فأجابوا وأسلموا فأقام فيهم وكتب الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يعلمه اسلامهم ، وعاد خالد ومعه وفدهم وقد ضم قيسا بن الحصين بن يزيد بن قينان ذي الغصة ، ويزيد بن عبد المدان وغيرهما ، فقدموا على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم عادوا عنه في بقية شوال أو في ذي الحجة وأرسل اليهم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الاسلام ويأخذ صدقاتهم ، وكتب معه كتابا ، وتوفي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن حزم على نجران .



المنطقة للفرس ودحا من الزمن الى أن جاء الاسلام فانضوت تحت لوائه ونعمت بالسلام .

ومن الشخصيات العربية التي ظهرت على مسرح نجران وطبعت تاريخها الأدبي بطابع مميز كان له أثر واضح في تسيير الأحداث قبيل البيعة النبوية « قس بن ساعدة الأيادي » المشهور بأسقف نجران . فهو يعد في طليعة الحكماء والبلغاء ، وكان خطيب العرب قاطبة في عصره حتى ليضرب المثل بقس لمن يمتلك القدرة على الخطابة ، فهذا « الأشل الأزرق » يقول في مراثيه « لأبي دؤاد بن حريز الأيادي » :

نعى ابن حريز جاهل بمصابه
فعم نزارا بالبكا والنحوب
نعاه لنا كالليث يعمى عرينه
وكالبدر يمشى ضوءه كل كوكب
وأصبر من عود وأهدى اذا سرى
من النجم في داج من الليل غيبه
وأذرب من حد اللسان لسانه
وأضى من السيف الحسام المشطب
كقس اياد أو لقيط بن معبد

وعذرة والمنطبق زيد بن جندب
وقد روي أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال فيه : « رأيته يسوق عكاظ على جمل له أورك وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت » . وهو القائل : « يا معشر اياد ، أين ثمود وعاد ، وأين الآباء والأجداد ، أين المعروف الذي لم يشكر ، والظلم الذي لم ينكر ، أقسم قس قسما بالله ، ان الله لدينا هو أرضى من دينكم هذا » . وأنشدوا له :

في المذاهبين الأولين
من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
بمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي ولا

يبقى من الباقي غابر
أيقنت أنني لا محالة حيث صار القوم صائر
وقد عمر قس بن ساعدة طويلا وتوفي في نحو الوقت الذي بدأ فيه نزول الوحي على النبي . ولما علم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بوفاة ، قال : « رحمه الله » .

وفي السنة العاشرة للهجرة أرسل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، خالدا بن الوليد الى بني الحرث

فكان أن قاسى من ضروب التعذيب ألوانا حتى قتل . ويروى أن رجلا من أهل نجران في زمن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجاته فعر على جثمان عبدالله بن الثامر تحت دفن منها قاعدا واضعا أصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وفي أصبعه خاتم مكتوب فيه « ربي الله » ، فكتب الى عمر بشأنه فأمر بأن يقروه على حاله ويردوا عليه الدفن الذي كان عليه ففعلوا .

وعلى مقربة من تلك المنازل توجد بئر قديمة ثمانية الأضلاع ، جدرانها من الحجارة المقصبة ، وهي مطمورة بالأتربة والحجارة .

وإذا ما تركنا « الأخدود » وصعدنا في الجبال المحيطة بها نجد أن صخور جبل الحمرا تحمل نقوشا كوفية بديدة ترجع على الأرجح الى العصور الاسلامية الأولى . وفي الكهوف والمغاور في قمم جبال نهيقه وعرير السامقة الى الجنوب الغربي من جبل الحمرا ، توجد نقوش ايبجرافية كثيرة تتطلب من الزائر جلدا وصبرا للوصول اليها عبر مسالك وعرة . من تلك القمم يستطيع الزائر اذا ما صوب نظره نحو الشمال الغربي أن يرى قلعة ترتفع على قمة جبل « رعم » . وفي جبل « المساه » ، الواقع في بطن وادي نجران بين « الفيضلية » و « العريسه » على بعد ١٥ كيلومترا من مدينة نجران ، توجد نقوش بالخط الكوفي ، كما توجد على بعض صخورها نقوش قديمة . وما يلفت النظر في هذه الجبال أن صخورها عبارة عن جلاميد بركانية ملساء ضخمة يعلو بعضها بعضا ذات أشكال وألوان غريبة .

وما تجدر ملاحظته في منطقة نجران كثرة الرسوم المنتشرة في جبال وادي حبونا ، وجبال النظيم ، بين يديه وحما التي تضم جبال نجد سهبي ، وصعر ، وسنح ، والنخل . فتحضن صخور تلك الجبال تابلوهات حية ولوحات فنية بديدة تقف شاهدا على ما بلغه السكان الأقدمون من مهارة فائقة في فن الرسم ، وهي تعتبر بحق معرضا فنيا لمختلف ألوان الحياة . فعلى تلك الصخور يشاهد المرء النعام وحمر الوحش والظباء والابل والخيل والأبقار وكلاب الصيد والأفاعي . كما يشاهد على بعضها صورا رمزية للمعارك التي جرت آنذاك . ومن بين هذه الصور واحدة تمثل رجلا حاملا ترسا بيده وشاهرا سيفه باليد الأخرى ، وأخرى لرجل آخر يحمل بيده حربة . وحري بالذكر أن أبناء المنطقة ينسجون حول تلك الرسوم والصور قصصا ممتعة ، كما هي الحال مع جملي

« حتروش » اللذين يجمعهما رسم على صخرة في مكان يقال له « العطف » يقع بين قريتي النقعا والمجمع في وادي حبونا . ويروى انه كان لحتروش ، شيخ القبيلة ، جملتان يسنى على واحد منهما في النقعا والآخر في المجمع . واتفق أن تلاقى هذا الجملتان فكان عراك وعص ، فكان لهما رسم يسجل ذلك العراك .

هذا الى جانب النقوش النمودية التي تزخر بها جبال النظيم وجبال القارة التي تبعد حوالي ٢٠٠ كيلومتر شمالي نجران .

وحول جبل « تصلال » الذي يبعد عن نجران الى الشمال الشرقي نحو ٣٥ كيلومترا توجد بعض المقابر . وهذا الجبل يرتفع عما حوله بنحو ٣٠٠ قدم وينتهي بقمة أشبه بقرص العسل لكثرة الثقوب والنخاريب فيها ، وتحتوي على أحواض تتجمع فيها المياه عند هطول المطر . وجبل « تصلال » كثير الشبه بجبل « المساه » ، من حيث تكوينه وشكله ، ويعتقد البعض أن « كعبة نجران » المشهورة في كتب التاريخ تقوم على هذا الجبل . ويزعم « فيلسي » (٤) انه اكتشف هذه « الكعبة » عندما زار المنطقة في عام ١٩٣٦م ، وقد استدل عليها من المطاف الذي رآه حول الجبل ومن صورة باهتة لصنم في أعلاه ، وهذا أمر يحتاج الى تحقيق . والمعروف في كتب التاريخ والأدب أن « كعبة نجران » قد حجتها العرب في الجاهلية أربعين عاما ، وهي بيعة بناها « بنو عبد المدان بن الديان الحارثي » على غرار الكعبة المشرفة وعظموها مضاهاة للبيت العتيق ، وكان فيها أساقفة معتمون وهم الذين جاؤا الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم الى المباهلة . وذكر هشام بن الكلبي أنها كانت قبة من آدم من ثلثمائة جلد ، كان اذا جاءها الخائف أمن أو طالب حاجة قضيت أو مسترد أرفد ، وكان لعظمها عندهم يسمونها « كعبة نجران » وكانت على نهر بنجران ، وكانت لعبد المسيح بن دارس بن عدي بن معقل ، وكان يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينار وكانت القبة تستغرقها . وقد ذكر الأعشى كعبة نجران بقوله :

وكعبة نجران حتم عليك حتى تناخي بأبوابها
نزور يزيدها وعبد المسيح

وقيساهم خير أربابها
وشاهدنا الورد والياسمين والمسمعات بقصائبها
وبربطنا دائم معمّل

فأي الثلاثة أزرى بها
وفي آخر المطاف ، هناك سدان قديمان في المنطقة

لا تزال بعض آثارهما باقية . أحدهما شرقي « العريسه » ويمتد من جبل العان شمالا الى جبل التدريب جنوبا ، والآخر غربي « الموفجة » بالقرب من « المضيق » .

نجران اليوم

ان أول ما يسترعي نظر القادم الى مدينة نجران القديمة والقرى المحيطة بها تلك القصور الشاهقة التي تتميز بطرازها العريق وطابعها الفريد . ويتألف بعض تلك القصور من سبعة أدوار ، وليس هناك قصر في نجران يقل عدد أدواره عن ثلاثة . ويبنى القصر من الطين المخلوط بالطين . ويبدأ « المعلم » البناء بصف مدامك كامل ويتركه يومين أو ثلاثة حتى يجف ثم يصف فوقه مدامكا آخر وهكذا حتى يتم البناء ، ثم يسقف بخشب السدر وسعف النخيل ، وبعد ذلك يجري تلبس الجدران وزخرفتها بالجص والنبيلة . ويزدان القصر من الأعلى بأفاريز ناصعة البياض ذات زخارف جميلة وأشكال بديدة يطلق عليها « الشرايف » . ويعمد بعضهم الى بناء حجرة في أعلى القصر تسمى « الخارجة » تستعمل كمصيف . وغرف القصر تمتاز باستطاعتها ، اذ يبلغ طول الغرفة أحيانا عشرة أمتار ولا يزيد عرضها على ثلاثة أمتار . أما الجدران فتتميز بتعدد نوافذها الصغيرة « بابجات » ، وغالبا ما يركب عليها زجاج ملون « قمرينات » ينبعث منها يريق أخاذ كلما انعكست عليها أشعة الشمس . كما تعلق النوافذ طاقات صغيرة مستطيلة تسمى « باشورات » .

هذه القصور تعمر طويلا وتكلف كثيرا ، والأهالي يفضلونها على المنازل الحديثة المبنية بالاسمنت المسلح التي أخذت تظهر في مدينة نجران القديمة بشكل عام وفي المدينة الفيصلية بشكل خاص . وقد جرى تخطيط المدينة الفيصلية عام ١٣٨٥ وأنشئت فيها جميع الادارات الحكومية والامارة ، وأخذ الأهالي ببناء الفلات الأنيقة ضمن المخطط الموضوع . وتشجعا على البناء في المدينة الفيصلية توزع البلدية قطعا من الأراضي السكنية على الأهالي بأسعار رمزية ، وقد تم حتى الآن توزيع نحو ألف قطعة سكنية . والعمل جار الآن على شق الشوارع وسفلتها في كل من مدينة نجران (أيا السعود) والمدينة الفيصلية وتشجيرها وانارتها ، وحفر الآبار الأرتوازية ، وإنشاء خزان وشبكة أنابيب لتوصيل المياه الى المنازل .



رقصة « الرزفة » من الرقصات الشعبية العديدة التي تجتذب العديد من شباب نجران وشبيها لا سيما في مناسبات الأفراح والأعياد .



« المفيق » الذي تتجمع عنده مياه السيول وتندفق في وادي نجران لتروي المزارع والبساتين الفسيحة ، وهو من الأماكن التي يرتادها أبناء نجران للسباحة .

يشهد الإقبال على شراء القدور المنحوتة من الصخر الأبيض الصلد .

سوق الخميس في نجران

من أسواق العرب القديمة المشهورة سوق نجران . فقد كانت تحتل مركزا تجاريا مرموقا على « طريق التوابل » الذي يبدأ من حضرموت ويمر بمأرب ويقف في نجران ليتفرع منها الى فرعين : احدهما يتجه الى اليمامة والآخر الى مكة المكرمة ويثرب وديدان (العلا) في وادي القرى والبتراء حيث يتفرع الى طرق عديدة تتجه الى غزه والحيرة ودمشق وبصرى . وفي سوق نجران قال اعرابي :

ان تكونوا قد غبتم وحضرنا
ونزلنا أرضا بها الأسواق
واضعا في سرة نجران رحلي

ناعما غير انني مشتاق
سوق نجران اليوم أكثر رواجاً ونشاطاً مما كانت عليه في الماضي وليس أدل على ذلك من كثرة سيارات النقل ومحطات الوقود العديدة المنتشرة في أرجاء المدينة . ويقام السوق في الساحة التجارية بين شارعي الأخدود والمللك فيصل يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع . وتعتبر سوق الخميس أكثر الأسواق ازدهاما اذ يتوافد عليها أهالي نجران والقرى المجاورة بالإضافة الى أبناء البادية وأبناء اليمن الشقيق الوافدين الى المملكة العربية السعودية للتبضع . وما يلفت النظر في السوق ، كثرة العربات اليدوية وهي بمثابة حوانيت متنقلة فيها كل ما هب ودب من السلع الصغيرة والكعاليات . ويلتزم الباعة في السوق مبدأ التخصص .. فهنا قسم الحللي وأدوات الزينة المصنوعة بمهارة فائقة من الفضة ، وفيه تجد الحروز (٥) المنمنمة واللوازم (٦) والشمليات (٧) واللبات (٨) والخواتم والحجول والخروص (٩) والثومات والحنيشات والقبب والرزات والرّبّيعات (١٠) وتحلى بها الجنبات التي ينسطق بها « النجارين » ولا سيما المتقدمين منهم في السن . وتمر عن الصرافين في صف طويل وقد تربح كل منهم وكدّس أمامه العملات المختلفة كالريال اليمني ودينار الجنوب وريال ماريا تريزا الفرنسي وجنيه الذهب الانجليزي والريال الفضة السعودي . ثم تأتي الى سوق التوابل والطبوع حيث تباع كميات هائلة من الزنجبيل والقهوة اليمنية الخولانية والقهوة الصافي والبخور الجاوي والهرد والكمون والحلبة والرز والفلفل الأسود والهيل الهندي وقشر القهوة . وعلى مقربة من سوق التوابل يقوم سوق الحبوب والتمور حيث ترى البر النجراني

والبر المأربي والذرة البيضاء والصفراء في أكداس كبيرة وبجانها التمور الجافة والزبيب الأحمر . وفي الجانب الآخر تستوقفك سوق مواد الزينة للنساء والأعشاب التي تستعمل في أغراض مختلفة كالمصا والكمحل والورد والريحان والحناء ، وزيت تجميل النساء والشاندر العملة والمعلل ، والعشوق والقهوة وغيرها . ثم تتقدم قليلا لتجتذبك بعض المصنوعات المحلية كالمطارج ، وهي سلال جميلة للفواكه تصنع من النمس والخوص ، والمهجان وهي سفرة للأكل تصنع من الخوص ، والمناشع والمزابل وهي الزنايل ، والغضارات المصنوعة من خشب الأثل ، وجرار الماء الفخارية ومنها البرحة والقعدة ، والقذور المنحوتة من الصخر الأبيض الصلد . ثم الحبال على اختلاف أنواعها . لا تنس وأنت تغادر السوق أن تعرج على باعة « اللوح » ، خبز الذرة ذو الطعم اللذيذ والرائحة الزكية ، وخبز البر الذي تشتهر به نجران .

الحياة الاجتماعية

النجراني يمتاز بالذكاء والفصاحة والقوة ، شهد بذلك الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » ، وهو الى جانب ذلك طموح وكريم النفس . ففي جلسة لطيفة مع « الشيخ حمد بن سلطان الشريف » ، أحد أعيان نجران ، قال لنا : ان النجراني اذا قدم لك الطعام فهو يتوقع منك أن تلتمه كله عملا بالمثل القائل . « من أكرمك بالزاد أكرمه بأكله » ، ومع أن الشيخ قد ناهز السبعين فهو يتمتع بقوة يحسد عليها . أما الصلابة التي يتمتع بها النجراني فتعود - على حد قول الشيخ حمد - الى القرص المجرم « القعنون » من البر والسمن الذي يتناوله في الصباح بعد أن يحتسي القهوة العربية . وهناك قصة يتناقلها أبناء المنطقة تدل على ما للبر والسمن من أثر على صحة الأبدان وصلابتها خلاصتها : انه بالقرب من « العطف » بين قريتي المتقع والمجمع في وادي حبونا اعترض جماعة الشاب مهدي ، وهو في طريقه الى والدته حاملا لها هدية في « مسب » على كتفه ، فأرادوا سلبه ، فما كان منه الا أن صعد الى قمة الجبل ، ولما حاولوا اللحاق به قفز من علو شاهق الى السيل في بطن الوادي ، فعقدت الدهشة ألتستهم لما رأوا فيه من شجاعة وقوة ، ثم أعطوه الأمان على أن يخبرهم فقط عن طعامه ، فقال لهم : البر والسمن والدوم ، ولا يزال يطلق على ذلك المكان « مطمر مهدي » .

ومن الأكلات المشهورة في نجران التي يؤلف البر والسمن القاسم المشترك بينها « الرقش » و « المعصوب » و « الوفد » و « الحريكة » . وفي المساء ، يجتمع « النجارين » ليشربوا القهوة القشر التي يفضلونها على القهوة العادية ، ولها دلالة خاصة جميلة تستورد من مكة المكرمة .

ومن المظاهر الاجتماعية المحيية في نجران مشاركة الجميع شيئا وشبانا في أفراح الأعياد والزواج والختان ، فتقام الرقصات الشعبية على دقات الطبول ونقر الدفوف . ومن تلك الرقصات « الرزفة » وهي شبيهة برقصة العرضة النجدية . وتتجلى في الأشعار التي يرددونها وهم يؤدون الرقصة ، ألوان الشجاعة والكرم والشهامة التي يتحلى بها أبناء نجران ، ومنها قولهم :

في لابة حدها نجران مسميه
صبيان « يام » هل العادات لجوادي
تلقى الى جيتهم هبل وبرية

سلم لهم يعتبون البن واقنادي
ورقصة أخرى لا تقل شهرة عن سابقتها وهي « الزامل » التي يقف فيها الرجال في صفين متقابلين حاملين الدفوف يرددون أشعارا تنسجم مع اللحن الذي يتغير بين الحين والآخر . وفي وسط الحلقة بين الصفين يتدفع شابان أو ثلاثة يلوحون بجنبياتهم ويهزجون :

يا مرجحا وأهلين يا ضيفان
ترحيبة عند المطر
ترحيبة من خيرة ظفران

على العدو منهم خطر
ولتأمين حياة كريمة للأسر الرقيقة الحال أوجدت الدولة في مدينة نجران مكتب الضمان الاجتماعي الذي يلعب دورا فعالا في رفع المستوى الاجتماعي عن طريق تقديم المساعدات المادية للأسر المستحقة والمصابين بكمالات أو نكبات طارئة . وقد بلغ عدد الأسر المستفيدة من هذا المشروع منذ أن تولى المكتب مهامه ما يقرب من ٩٥٠ أسرة . هذا ويقدر ما يصرف من اعانات نحو مليون ريال في السنة الواحدة .

الحركة التعليمية

افتتحت أول مدرسة في نجران عام ١٣٦٢ هـ . وكانت تسمى « المدرسة الأميرية » ثم أصبحت تدعى « المدرسة السعودية » بعد أن نقلت الى مبناها الحديث في أحد أحياء مدينة نجران القديمة . وبقيت حركة التعليم بطيئة

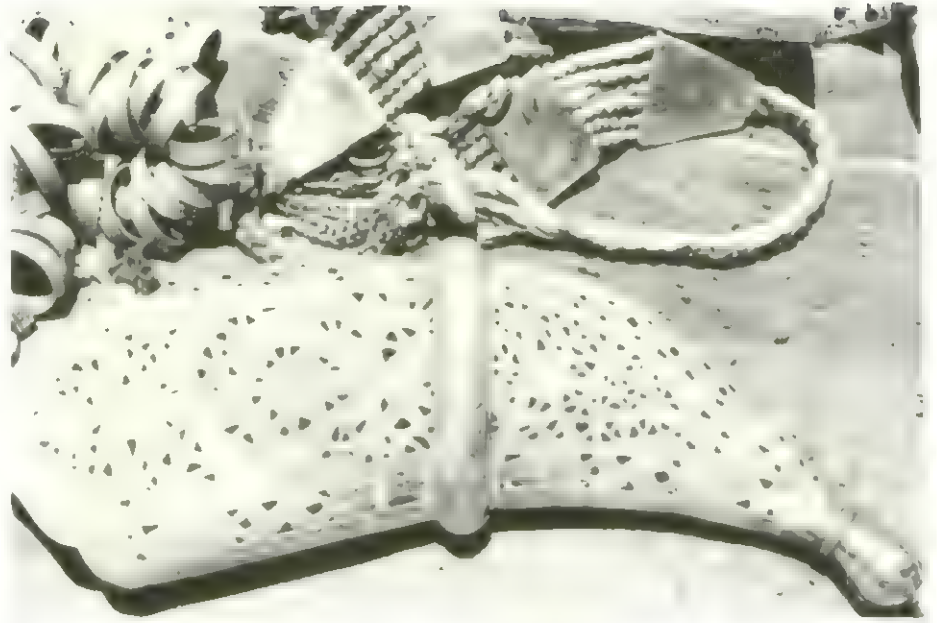
ومحدودة ، الى أن تأسس مكتب الاشراف على التعليم في المنطقة عام ١٣٨٧ هـ ، وقد كانت نجران قبل ذلك تابعة لإدارة التعليم بمنطقة ييشة ، فأخذ يفتح المدارس في القرى والبادية المتراصة الأطراف ويوسع المدارس القائمة .

وفي خلال مدة وجيزة ارتفع عدد المدارس في المنطقة حتى أصبح فيها الآن ١٧ مدرسة ابتدائية وأربع مدارس متوسطة وعشر مدارس ليلية ، ومدرسة ثانوية تضم جميعها نحو ٤٨٥٠ طالبا في مختلف المراحل . كما يوجد بها معهد علمي يضم ١٦٠ طالبا ومدرسة ابتدائية للبنات تضم نحو ٢٥٠ طالبة ، وهناك مدارس أخرى قيد الافتتاح . وفي نجران ناد مدرسي صيفي يستهدف سد الفراغ الذي يواجهه الطلبة خلال العطلة الصيفية واستغلال ذلك الفراغ في نشاط يحقق النفع للفرد والجماعة والمجتمع . ويتاح للطلاب المشتركين في النادي فرصة القيام برحلات كشفية في أرجاء المنطقة والمشاركة في النشاطات الرياضية والثقافية والاجتماعية والفنية .

نشأته الزراعي

تدل الاكتشافات الحديثة على أن وادي نجران مجرى لنهر من الأنهار القديمة التي كانت خلال العصر الميوسيني تصب في البحر الذي كان يغمر ما هو معروف اليوم بالقسم الشرقي من الربع الخالي ، وقد أشار بطليموس الى ذلك في كتابه « الجغرافيا » . فلا غرو أن يكون هذا الوادي من أخصب البقاع وأجودها تربة بفضل ما تلقىه السيول فيه من الطمي . ففيه تتوفر المياه الجوفية بشكل هائل ، وليس أدل على ذلك من أن الأهالي نادرا ما يسقون نخيلهم نظرا لقرب المياه الجوفية من السطح . أما عن جودة التربة صلاحها لنمو النباتات والأشجار فأمر غريب .. إذ يكفي أن نعرف أن الغراس تحمل ثمرا وهي لا تزال في المشاتل قبل نقلها الى مكانها الدائم . وقد حدثنا الأمير الشاب « ناصر السديري » في جولتنا في بساتين نجران النضرة أن المراء يجد فيها كل ما تشتهيه نفسه من خضار وفواكه . فالأرض خصبة والمياه متوفرة والمناخ ملائم لزراعة كل أنواع النباتات والأشجار . وقد وصف الشاعر المجيد الشيخ زاهر عواض الألمي تلك الأرض الطيبة بقوله :

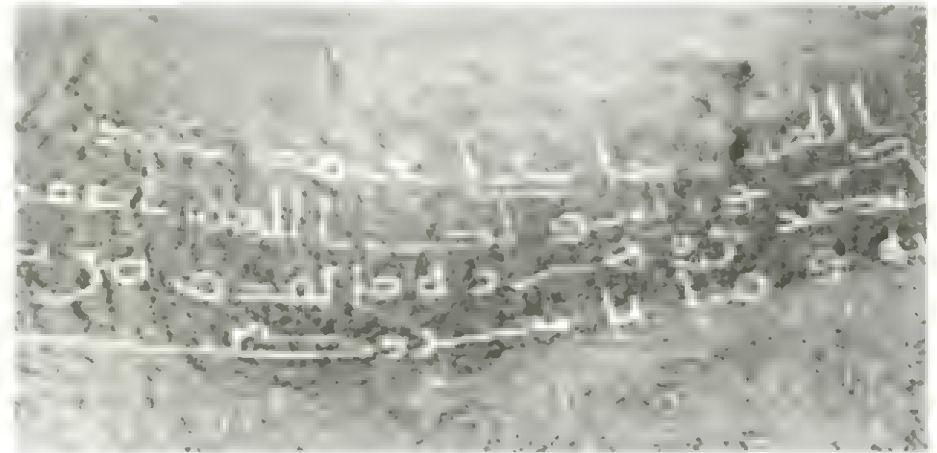
ففي نجران تـبر من رغام
كريم النبات من أزكى النبات



الخناجر المرصعة والخواتم الفضية ذات الأشكال المختلفة من الصناعات اليدوية التي يقبل الناس على شرائها في سوق يوم الخميس في نجران .



من أنقاض « مدينة الأخنود » الأثرية في نجران التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وتبدو الحجارة فيها وكأنها أحرقت بالنار .



كتابة كوفية منقوشة على صخور جبل « المسماة » بين المدينة الفيصلية والعريسة .

ورقراق النمر يفيض بحرا

على الجنبات بالعذب الفرات

وتهطل الأمطار الموسمية على المنطقة في أشهر مارس وأبريل ومايو ، وكذلك في فصل الخريف ولكن بنسبة ضئيلة . ويتعرض الوادي لفيضانات عارمة خاصة عندما تهطل الأمطار الغزيرة على جبال اليمن فتتحد من الشعاب العديدة وتشكل سيلاً جارفاً يحدث أضراراً جسيمة كما حدث في عام ١٣٨٦هـ عندما بلغ ارتفاع الماء نحو ٨ أمتار . وهذه المياه الوفيرة تأخذ طريقها إلى الربع الخالي وتستمر في التدفق نحو خمسين يوماً . وقد أشار معالي الأمير خالد السديري في معرض حديثه عن مشاريع المنطقة إلى أن جلالة الملك فيصل كان أول من لاحظ أهمية إقامة سد لوادي نجران وأوصى به ، وهذا المشروع هو قيد التنفيذ . ومن المشاريع النافعة التي توليها الدولة أهمية خاصة توزيع الأراضي البور على الراغبين من سكان المنطقة ليقوموا باستثمارها واستغلالها . وقد تقرر توزيع نحو مائة ألف دونم تقريباً ممتدة بين قرى العريسة والخضراء . ولتصريف حاصلات المنطقة الزراعية الوفيرة يجري العمل حالياً على بناء شبكة من الطرق المعبدة تربط نجران بغيرها من مناطق المملكة فهناك طريق معبد من نجران يتجه نحو الشمال الغربي ماراً بكل من بير عسكر وظهران الجنوب وسراة عبدة وخميس مشيط وأبها ، وهناك طريق آخر تحت الإنشاء يربط نجران بالرياض ويمر بكل من وادي الدواسر والسبيل والأفلاج والخرج . هذا بالإضافة إلى شبكة من الطرق الزراعية التي تربط أجزاء المنطقة . أما منتجات نجران فيجري تسويقها في اليمن الشقيق ، وفي خميس مشيط وأبها وبيشة والرياض .

وتزرع في نجران جميع الخضراوات ، وخاصة الطماطم التي تزرع على مدار السنة ، وأشجار الفاكهة والحمضيات كالعنب والتفاح والمشمش والخوخ والكمثرى والعنبروت والباباي والموز والتين واللوز الهندي والزيتون والبرشومي (التين شوكي) والجوفا والرمان والعناب والبخارة واليوسفي والبرتقال وليمون بزهير والليمون الحامض . وقد أخذ الأهالي مؤخرًا يتجهون إلى زراعة أشجار البن وخاصة في قرية الجربة القريبة من مدينة الأخدود الأثرية . أما أشهر أنواع التمور في نجران فهما البياض والسود ، وتجفف هذه التمور ويصدر جزء منها إلى اليمن ، والجزء الآخر إلى البلدان المجاورة . هذا وتزرع مساحات كبيرة بالبطيخ الأحمر الذي يصل وزن الواحدة منه حوالي ٤٠ كيلوغراماً .

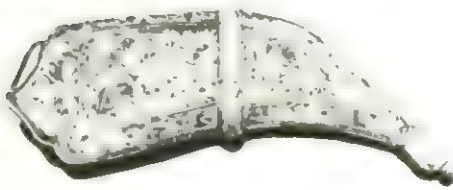
أما الحبوب فتزرع مرتين في السنة ، ويجري طحن جزء كبير منها في المطاحن المحلية في مدينة نجران وتعباً في أكياس تمهيداً لتصديرها إلى اليمن ومدن المملكة المجاورة . وتقوم الوحدة الزراعية في المنطقة بالإسهام في رفع مستوى الانتاج الزراعي عن طريق تقديم المساعدات والإرشادات الفنية للمزارعين ومدهم بالآليات والمعدات والمبيدات الحشرية وغيرها من المستلزمات الزراعية .

نجران بلد سياحي ممتاز

تتوفر في منطقة نجران كل مقومات السياحة من مناظر طبيعية خلابة : وجبال شاهقة تصلح لرياضة التسلق ، وبساتين نضرة ، وآثار جلييلة . وهواء عليل ، ومياه عذبة وفيرة ، وهي تمثل حياة الريف الهادئة بأبهى معانيها ، ناهيك عن كرم أهلها وحسن معاملتهم . ولكي تستمتع بיום جميل في نجران قم مبكراً ، وأرقب شروق الشمس ، ثم وجه ناظريك إلى البساتين النضرة في الوادي يجللها الندى ، واستنشق عير الأزهار ، واستمع إلى صياح الديكة تمتزج بهدير مضخات المياه في المزارع . وما أن ترسل ذكاء بأشعتها على الوادي حتى تأخذ جحافل الطل بالتقهقر . وإذا كنت ممن يهون مشاهدة الريف فاذهب إلى الحقول المرعنة لتحظى بروية الفلاحين وهم ، « يكييدون » (١١) الحب باستعمال « الجسيم » (١٢) يجره زوجان من الحمير أو البقر ، ثم يجمع الفلاحون الحب مع التبن في كومة تسمى « صمت » ، ويقف رجلان يقابل أحدهما الآخر « ليريحانه » أي يعرضانه « للنود » أي الريح لفصل الحب عن التبن . فإذا ما فرغت من مشاهدة عملية « كيد » الحب ، فاقصد الفلاحين الذي يروون الطماطم بالمياه المتدفقة في الجداول لتقطف الثمر بيديك وتشاركهم سرورهم . من هناك عرج إلى المزرعة النموذجية في « العريسة » عروس نجران ، لتشهد عملاً فنياً أنجزته يد الإنسان التي أحالت السهوب القفر إلى مراع خضر . في هذه المزرعة ، التي تبلغ مساحتها ٢٠ ألف دونم ، تمتلئ لو يطول بقاؤك فيها بين حدائق الورود والأزهار ، حيث الجداول ينساب فيها الماء النمر يروي أشجار العنب والبرتقال والمشمش والتين والزيتون واليوسفي والخوخ والكمثرى والتين شوكي . ومتع ناظريك بمشاهدة أنواع البط والأرانب والحمام ، وأرقب الأغنام والأبقار وكراثم الابل وهي تخرج من حظائرها

لتنشر في المراعي الخضر ، وبعد ذلك تفيًا ظلال أشجار المشمش الوارفة لتنعم بجلسة عربية بين قوم كرام ترتشف خلالها حليب الابل وتحتسي القهوة العربية الأصيلة . والعريسة هذه قال فيها الشاعر أحمد البدري :

وروضة زرتها والصحب في مرح
تري الجمال بها يزداد احسانا
مكثت فيها أصيلاً فوق عسجدها
والزورع ينعشنا تينا ورمانا
والزهر أحمره يرنو لأبيضه
في حب أصفره قد بات نشوانا
والشوك يحرسه لون الشفاه كما
في عسكر تحرس الأجناد سلطانا



ومن مواطن الجمال التي تتحفاك بها نجران وادي « أبا الرشا » الذي يبعد نحو ١٤ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من المدينة القيسية ، وينتهي بجبل بركاني أشم ينحدر الماء المتجمع في غدران قمته من وادي « الرغام » على شكل شلال من علو ٢٠٠ متر . وينساب الماء في وادي الرغام حتى ينتهي إلى متقع وغدران تكثر فيها « الدغالب » وتنتشر حولها أشجار النقم والخروع والعوسج والكداد والأب الذي تستعمل أوراقه في دبابة الجلود . كما تنمو في الماء نباتات الغفق والخوخ والقمرل . ثم هناك « المضيق » غربي قرية « الموفجة » الذي تتجمع فيه مياه السيول المتدفقة من الجبال لتغذي وادي نجران العظيم . ويقصد الكثيرون من أبناء نجران هذا المكان في أيام العطل للترويح عن النفس والسباحة في « القلد » . وفي نجران تكثر غابات السمر والسدر وأشهرها غابة سقام التي تمتد إلى الشمال الشرقي من مدينة الأخدود الأثرية ، وهي تمتاز بأشجار السمر الضخمة المشابهة الأغصان ، وغابة السدر في وادي نهوق .

وبعد ، تلك هي نجران ، بلد الجمال والطبيعة الخيرة المعطاء

سليمان العبد

نسمة الهواء الحياه

بقلم الدكتور فؤاد صروف

الماء والتربة ، بجميع عناصرها ومقوماتها ، تتفاعل في وحدة بيئية أرضية النطاق ، مع الأحياء ، بملايين أنواعها وضروبها ، من المجهرية الى ذوات الفقار ، فتنشئ بهذا التفاعل غلاف الأرض الحياتي ، الذي يكون للبشر الوعاء الطبيعي الذي بنوا فيه حضارتهم المتعاقبة .

فالهواء الذي نتنفسه ، ونستمد منه الأوكسجين اللازم للحياة ، عرضة لأنواع متفاوتة من التلوث . فعواصف الرمل والغبار ، والمقذوفات البركانية ، وأعمال هدم المباني القديمة وتشيد المباني الجديدة وحفر المناجم وشق الطرق ، تنفث في تركيب الهواء مواد ليست منه ، وقد روي أن انفجار بركان « كراكاتوى » ، في جزائر جنوب شرقي آسيا ، عام ١٨٨٣ أطلق في الهواء مقادير من الغبار البركاني الى ارتفاع ثلاثين ميلا ، فظل نحو سنة يملأ أطباق الجو العالية فوق الأرض كلها تقريبا ، وكذلك يعد رذاذ البحر الملح ، عند هيجانه على الشواطئ ضريبا من تلوث الهواء . والتيران التي تشب في الغابات تنفث دخانا وغازات وجساما دقيقة ، والنباتات المتهرقة تطلق غازات في أثناء تحللها ، والهواء نفسه يتلقى ، وينقل في تحركه . ضروبا من البكتيريا ودقائق العفن والبذيرات البوغية ، وحبيبات اللقاح في فصول الأزهار . ومن الناس من يصاب بحالة الاستهداف (البرجي) لأنه يتأثر بأحد أنواع هذه الحبيبات . ومنها نوع خاص يحدث الزكام وحمى الربيع عند ذوي الحساسية المرفقة بها . وكل هذا جزء من الكيان الطبيعي في غلاف الأرض وقشرتها ، أو أديمها ، تعالجه الطبيعة على طريقتها ، بهبوب الرياح وتطهير الاشعاع الشمسي وتنفس النبات وغيرها .

ولكن الانسان نفسه قد أسهم اسهاما مطردا في تلويث الهواء تلويثا محدودا ، يوم صنع النار الأولى ، وما تصاعد من دخانها . ومنذ أن درج في معارج الرقي ، وبخاصة منذ أن أخذ بتلايب

الصناعة وتطورها ، ازداد اسهامه هذا ، ازديادا سريعا . فالغالب أن الدقائق الصلبة المنطلقة من المصانع ، نتيجة الوقود الفحمي ، تكون جزءا كبيرا من الدخان . فاذا اختلط هذا الدخان بالضباب ، نشأ ضرب من التلوث الهوائي ، أطلقوا عليه لفظ (Smog) بأخذهم الحرفين الأولين من لفظ دخان الانكليزي (Smoke) والحرفين الآخرين من لفظ ضباب الانكليزي (FOG) ، ويقال ان هذا اللفظ (Smog) صاغه طبيب انكليزي عام ١٩٠٥ ليصف به ضباب لندن الكثيف المصفر ، الذي يشبه « حساء الحمص » على ما يقولون . وقد شاع استعماله ، في وصف أحوال المناطق ، وبخاصة المدن الصناعية ، حيث يكثر حصوله .

ففي هذه المناطق يؤدي وجود دقائق السناج وغيرها من المواد الملوثة ، في الهواء ، الى تزايد حصول الضباب . فدقائق السناج توفر مراكز دقيقة معلقة في الهواء يتجمع حولها بخار الماء ، واذا برين الضباب على المدن الصناعية ، يفعل فعل قباب أو ستار منبسط فوقها ، يمنع مواد التلويث الأخرى الصادرة من المصانع ، من الانطلاق الى طبقات الهواء العالية ، فتتراكم فيضطر السكان الى تنفس الهواء الملوث ما دام قباب الضباب منبسطا فوقهم . وهذا الدخان الضبابي (Smog) خليق أن ينشأ حيث يقع « انقلاب حراري » في المنطقة ، ويحصل هذا الانقلاب في ليال ضاحية ساكنة الهواء ، عندما تبرد الأرض بسرعة ، بتشع الحرارة منها ، وعندئذ تكون طبقة الهواء الملاصقة للأرض أبرد من طبقة الهواء التي تعلوها . والهواء البارد قرب الأرض أكثر كثافة من الهواء الدافئ فوقه ، فيبقى ملاصقا لها ، بدلا من أن يرتفع ، وتأخذ المواد الملوثة في التراكم فيه . كثير من الدقائق الكبيرة التي تلوث الهواء ، كدقائق سناج الفحم والرماد ، تصل الى الغشاء المخاطي ، في أجهزة التنفس العليا ، وبعضها ينفذ الى الرئتين . وما كان

صغيرا ، لا يزيد على جزء من ألف من المليمتر ، خليق أن ينفذ الى أعماق الرقة ، فيحدث خللا أو ضعفا في قيامها بوظيفتها ويقدو صاحبها أشدّ عرضة لذات الرقة وغيرها من علل الرثين . ولكن الغالب عند أهل الطب ، ان أخطر ملوثات الهواء هي الغازات السامة كأول أكسيد الكربون وفلوريد الهيدروجين ، وثاني أكسيد الكبريت ، وغاز الكلورين ، فهذه الغازات تولد عند امتزاجها بالماء أحماضا أكالة .

• • •

وثمة أنواع عديدة من النبات ، وبخاصة الورقية ، والأعشاب الطرية ، تتأثر بالغازات الصناعية تأثرا يوذيه ، وكلّ غاز يحدث أعراضا خاصة به ، أو يؤذي ضربا خاصا من النبات . فاذا كان في الهواء غاز كلوريد الهيدروجين ، حال اللون في أطراف الورق في نبات سيف الغراب (غلاديل) الى الصفرة أو السمرة ، وظهرت على أوراق الكرمة بقع سمر داكنة . وإذا كان هناك بقع عاجية البياض في ورق الاسبانخ أو الشمندر ، فالغالب ان الورق قد تأثر بثاني أكسيد الكبريت في الهواء .

وصف الأدلة المتراكمة ، ما يبين مدى الضرر التي تصاب به الخضروات متأثرة بثاني أكسيد الكبريت . فالمصانع التي تحيل ركازات الفلزات الكبريتية بالصهر الى فلز خالص تولد مقادير كبيرة من هذا الغاز ، وقبل أن يعرف تأثيره في النبات ، كان أصحاب المصانع يطلقونه في الهواء ، فتدوي الخضر في الأرض المجاورة للمصانع وتموت ، ومدى الأذى الحافل كان على مقدار حجم المصنع وقربه .

وما يطلق الآن من فلوريد الهيدروجين من معامل الألومنيوم يكون خطرا عظيما لأن أثره المؤذي في النبات والحيوان أكبر من خطر ثاني أكسيد الكبريت . والأبخرة الهيدروكربونية غير الكاملة الاحتراق ، والمنبتقة من أنابيب عادم السيارات ، وهذه الأبخرة لا تحدث الضرر

بذاتها ، ولكنها عندما تتعرض للضوء ، بوجود مقادير قليلة من أكسيد النتروجين ، في الهواء ، تولد مواد كيميائية تسمّ النبات فتحدث ما يعرف هناك بمرض « الورق القضي » . وذلك بأن أسفل ورق الاسبانخ والشمندر والطباق يتأثر بها فينصل لونه ، ويصبح فضيا بدلا من أن يكون أخضر . وهناك ما يدل على أن ما يحصل في لوس أنجيلوس ، حصل أيضا في مدن عالمية متباعدة في أميركا الشمالية وأوروبا وأميركا الجنوبية وأستراليا . ومن بين الغازات الأخرى التي تلوث الهواء ، غاز أول أكسيد الكربون ، وهو غاز سام ، يتولد عندما تحترق مواد الوقود الهيدروكربونية ، احتراقا غير كامل ، وينشأ من هذا الاحتراق دقائق كربون ، يترسب بعضها داخل أسطوانات المحرك وينطلق الغاز من أنبوب العادم . وهو غاز يحدث استنشاقه حالة من التسمم الخفيف ، وإلى هذا يعزى أحيانا بعض حوادث السيارات على الطريق ، وبخاصة في المواعيد التي يزدحم فيها بالسيارات ، السائرة على مهل لبطء السير المعرقل ، أو التي تقف قليلا ثم تنطلق . ويزيد من أثر هذا الغاز ما تنفثه السيارات في غازاتها من رصاص يرجع الى المواد الرصاصية التي تضاف الى الوقود لتعزيز نشاطه .

وهذا الغاز يوجد أيضا في دخان لفافات التبغ أو الطباق ويحدث في المدخن وبخاصة الذي ينشق الدخان ، حالة خفيفة من التسمم .

ومجمل الرأي العلمي ، أن ملوثات الهواء الغالبة هي : دقائق مواد صلبة تنفث في الهواء (الغبار والرماد ودقائق السناج والمعادن وغيرها) ، وقطيرات (سحب الحمض الكبريتيك) . وغازات ثاني أكسيد الكبريت ، وأكسيد النتروجين ، وأول أكسيد الكربون ، والاشعاعات النووية . وترى اللجنة المختصة بموضوع التلوث في الأكاديمية العلمية الأميركية ، أن معظم الأذى الناتج من تلوث الهواء يعود إليها في المقام الأول .

ويضاف الى الملوثات المادية ، أثر الأصوات الصاخبة التي قد تحدث أثرا في الأعصاب ، بسبب بعض أمراضها ، أو في القلب ، وانخفاضها في الكفاءة الصناعية ، وتغيبا عن العمل ، وازديادا في الحوادث المؤذية ، ومن هنا التردد في السماح للطائرات التي تفوق سرعتها سرعة الصوت ، في الطيران فوق مناطق آهلة بالسكان .

يبد أن هناك غازا آخر ، يستحق عناية خاصة ، لأنه يعدّ من ناحية مقوّما أصيلا لا غنى عنه من مقوّمات الحياة والغلاف الحيائي ، وبحسب من ناحية ثانية ملوثا خطيرا للهواء ، اذا تراكم ، وهذا الغاز هو ثاني أكسيد الكربون (أو غاز الحمض الكربونيك) .

ثاني أكسيد الكربون ، يكون عنصرا طبيعيا سويا من عناصر الجو الطبيعي ، ولكن مقداره فيه ليس بالضخم ، فلا يكاد يزيد على ثلاثئة جزء في المليون . ومع ذلك فهو سرّ من أسرار الحياة على الأرض ، وعامل أساسي في الحفاظ على التوازن الحيائي الطبيعي . ذلك بأن حبيبات البخضور (كلوروفيل) تستطيع ، بتأثير ضوء الشمس ، أن تأخذ ثاني أكسيد الكربون من الهواء ، والماء من الهواء والأرض ، وتفكهما ثم تتركب من الكربون والهيدروجين المواد الغذائية البسيطة الأولى (السكر) وتردّ الى الهواء الأوكسجين الذي كان مغلقا في جزيئاتهما ، وبذلك نحصل على مواد الغذاء الأولى الأساسية ، وعلى تجديد الغلاف الهوائي باعادة مقادير ضخمة من الأوكسجين الحرّ اليه ، فتنشقه الأحياء — فهو نسمة الحياة . وقد حسب الحاسبون أن جميع النباتات الحية في العالم تأخذ في العام الواحد ، من الهواء ٥٥٠ بليون طن من ثاني أكسيد الكربون ، وتردّ اليه ٤٠٠ بليون طن من الأوكسجين . وهذا قائم في طبيعة الأشياء . ولكن يقابل ذلك أن الانسان أحرق خلال مائة عام (١٨٦٠ — ١٩٦٠) من وقود الفحم ، والجنيت (من ضروب الفحم الحجري) والنفط

والغازولين الطبيعي والغاز الخلفي والطبيعي ما يعدل ١٢٢ بليون طن من الوقود الكربوني ، ونصف ذلك أو أكثر قليلا ، أحرق منذ ١٩٢٠ . ومن هنا نتبين ان ازدياد المستهلك من الوقود ، من أجل توليد الطاقة لكل نشاط عمراني تقريبا ، يولد ويقذف في الجو ، مقادير مذهلة من ثاني أوكسيد الكربون تنتج كل عام ، وأن هواء الأرض خليق أن يحتوي في عام ٢٠٠٠م مقدارا من هذا الغاز يزيد بنسبة ٢٥ في المائة على مقداره اليوم .

ومع أن مقادير كبيرة من هذا الغاز لازمة في دورة الطبيعة والحياة على الأرض ، فإن زيادة ما يولد منه زيادة كبيرة ، خليق أن يؤثر تأثيرا عميقا في التوازن الحيوي الدقيق ، الذي انتهت اليه الطبيعة بعد دهور طوال . ذلك أن تراكم مقادير هذا الغاز في أطباق الهواء ، قد يؤدي الى فعل يطلقون عليه وصف « البيت الأخضر » ، وهو الذي يبنى من الزجاج ليمتص حرارة الشمس ويحتفظ بها داخله ، فيوفر بذلك الدفء الملائم لنمو بعض النباتات . وكذلك يخشى أن يكون هذا الغاز المتراكم في الغلاف الهوائي ، طبقة تخترقها أشعة الشمس ، ولكنها تمنع الحرارة من الانطلاق من الأرض الى الفضاء ، وهذا خليق بأن يفضي الى ارتفاع حرارة جو الأرض وإلى ذوبان بعض الجمد عند القطبين مما يؤدي الى ارتفاع مستوى ماء البحار . وتدل السواير الفضائية الأميركية والسوفيتية التي أنفذت الى كوكب الزهرة ، أن غلافها الغازي يكثر فيه ثاني أوكسيد الكربون ، وجوها هذا ، شديد الحرارة .

• • •

وصف كل مرة تجري فيها تجارب نووية أو يقع تلف في محطة تولد طاقة ذرية ، أو تهمل الوسائل الكفيلة بطمر المخلّفات الذرية في جوف الأرض ، يزداد النشاط الإشعاعي على الأرض وفي الهواء ، وقد يتسرب الى أجسام النبات والحيوان والانسان . وبعض هذا النشاط الإشعاعي قصير الأمد ، لا يلبث حتى يتبدد ، ولكن بعضه يعود الى مواد ذات نشاط إشعاعي

طويل الأمد ، فيبقى أثره شهورا أو سنين .

عندما يتفجر جهاز ذري - نووي ، في الهواء تتولد في أطواء الانفجار مواد مشعة كثيرة تنتشر في الفضاء فوق الموقع الذي يحصل فيه التفجر وحوله ، وتندفع في طبقات الهواء العالية ، ولا يلبث بعضها حتى يستنفد نشاطه . وبعضها حتى يتساقط أو ينهمل وهو لا يزال مشعا ، ويبقى البعض الآخر مشعا سابحا في الهواء راكبا متن الرياح في مهامها ثم ينهمل بعد زمن يقصر أو يطول وينتهي الى الترسيب على سطح الأرض فيدخل في تركيب الأحياء ويؤثر في أجسامها - ومنها أجسام الناس - تأثيرا مباشرا أو غير مباشر ، من طريق المأكل والمشرب ، فقد ينتقل ، مثلا ، من العشب الى لبن البقر ، فالى شاربيه . وأشد العناصر أذى مما يحتوي عليه الانهمال الذري ثلاثة : السترونشيوم ٩٠ ، والسيزيوم ١٣٧ ، واليود ١٣١ ، فالأولان لهما نشاط إشعاعي طويل الأمد . فالسترونشيوم يفقد نصف قوته الإشعاعية بعد ٢٨ سنة ، والسيزيوم بعد ٣٣ سنة . أما الثالث فلا يدمم إشعاعه أكثر من ثمانية أيام . ويميل أول الثلاثة الى التركيز في العظام النامية وبخاصة عظام الأطفال والصغار ، حيث يسبب في أغلب الرأي ، سرطان العظام وسرطان الدم (اللوكيميا) . ويظن أن اليود ١٣١ ، يسبب السرطان ولا سيما في الغدد الدرقية في الأطفال . ويقدر للسيزيوم ١٣٧ ، تأثير في عوامل الوراثة (الجينات) فإذا صحّ ذلك ، فقد يفضي الى تحولات بيولوجية فجائية (Mutations) فيها ، ربما كانت غير حميدة ، ثم تورث . وعلى أن هناك تفاوتات بين العلماء في تقديرهم لمستوى الإشعاع الذي تستطيع الأجسام الحية وبخاصة أجسام البشر ، أن تتحملة قبل التأثير به تأثيرا مؤذيا للجسم أو للبيئة المنجبة ، فالأحوط أن يؤخذ بقول القائلين بأن كل نشاط إشعاعي في الغلاف الحيائي ، يضاف الى مقدار الإشعاع الطبيعي المألوف الناشئ من الصخور المشعة والأشعة الكونية والإشعاع الشمسي ، لا بد أن

يترك أثره في الانساج ، وبخاصة لأن التقديرات الرسمية الأولى عن سرعة الانهمال ومقاديره ومواقعه كانت خاطئة . فقد قدر في عام ١٩٥٧ ان انهمال هذه المواد يستغرق سنوات ، فثبت في ١٩٦٢ انه لا يستغرق سوى أشهر ، وان منهملات السترونشيوم ٩٠ لا تزيد على ٧ ميكروني على الميل المربع من سطح الأرض ، فإذا هو ٤٧ ميكروني ، وان ما ينهمل ليس موزعا توزيعا متساويا فوق سطح الأرض فالنصف الشمالي يصيبه منه عشرة أضعاف النصف الآخر . ومن هنا كان الترحيب بمعاهدة حظر تجارب التفجيرات النووية في الهواء .

م أن المصانع التي تولد الطاقة النووية ، لاستعمالها في الصناعة ، آخذة في الازدياد . ويعلق عليها المعنيون بالأمم ، آمليين - ألبما ، أن تحل - ، في زمن مقبل ، محل الطاقة المولدة من المواد الهيدروكربونية عندما تنفذ أو تشرف على النفاذ ، وثانيهما ، انها تغني عما يلوّث الهواء من الغازات التي تنطلق من هذه المواد . فالأمر الثاني توقعه يقتضي الحذر والاحتياط . ففي صدر العهد الذي كشف فيه الراديوم ، وصار يستعمل في المستشفيات ، كان العلماء يجفلون عندما يعلمون ان بضعة ميلغرامات من الراديوم قد ضاعت أو سرت ، ويقومون الدنيا ويقعدونها في سعيهم لاستردادها ، تجنبا للأذى من إشعاعها . أما الأفران والمفاعلات الحديثة التي تصنع الطاقة الذرية الصناعية ، بالانشطار النووي ، فتولد مقادير غير قليلة من النظائر والمواد المشعة التي ينبغي أن تطمر ، زمنا طويلا ، ويجب عليها أن تتخذ الاحتياط لمنع تسرب أي شيء مشع منها ، وأن تحول دون اطلاق المقادير الضخمة من الماء الساخن الذي ينتج عن استعمال الماء للتبريد في أفرانها ، في الأنهار والبحيرات ، حتى لا تصاب بما تواضعوا على وصفه « بالتلوث الحراري » .

ومن أجل ذلك كله قال العالم الفرنسي « بيير بيغانول » : « لقد غدا من المحتوم الأدبي ، على المجتمعات الحديثة أن تحترم ما حبتنا به الطبيعة من هواء وماء » .

فكاد عصي الدمع يجري مواتيا
مثلة أيامه في خيالها
الى زمن أدركت فيه الأمانيا
وزان السنى أيامه واللياليا
وأغدو طروباً خالي القلب لاهيا
رواة فما أدري لهن معانيا
فأحببه يلقي علي أحاجيا
وأضحك ان شاهدت لطفان باكيا
مفاويز حرب ينتصون المواضيع
ومنه ركبنا السابقات المذاكيا
يدرب جيشاً آمراً فيه ناهيا
يهيب بنا داع فنهبط وأديا
كانا أسرنا بعد جهد أعاديا
وأونة نجني القطوف الدوانيا
وتنهصر أغصاننا هناك نواميا
وتشرب سلسال الينابيع صافيا
نساجل فيهن الحمام الشواذيا
نخال الصدى للمتشدين مثاليا
أخا نزعات بيننا أو مراتيا
ونحب من ينهى عن اللهو جانيا
بلاذائها جيد الدجنة حاليا
ومطلع أم النور أقم داجيا
سموساً ومخضل الأزاهير ذاويا
ولا الورد فواحاً ولا الماء جاريا
ولا غيب البستان يحكي الآليا
ترجرج في الصحراء يخدع صاديا
على الشاطئ الوردي يلقي المراسيا
بليغا الى الايمان بالله داعيا
ومن مفردات الزهر بيني القوافيا
الى أن يرى هذي الحياة كما هيا

فيصبح من غفل الطفولة صاحبيا
ويذكره التفكير ما كان ناسيا
يراهن حتى في المنام دواهيا
فينصاع عنها كاسف الببال شاكيا
الى فقده ابناً أو شقيقاً مواسيا
الى بفتات تجعل الدمع هاميا
الى شدة تشقي صديقاً مواليا
الى قلق يمسي به المرء ساهيا
تمحض نفوساً أو تذل نواصيا

لعمد ترى فيه البلايا ملاهيا
وان تلك بالآظلام تحكي الدياجيا
من الدهر خطب قد يهز الرواسيا
وان عبسوا ياساً تبسم راجيا
وليت تمنى المرء يرجع ماضيا

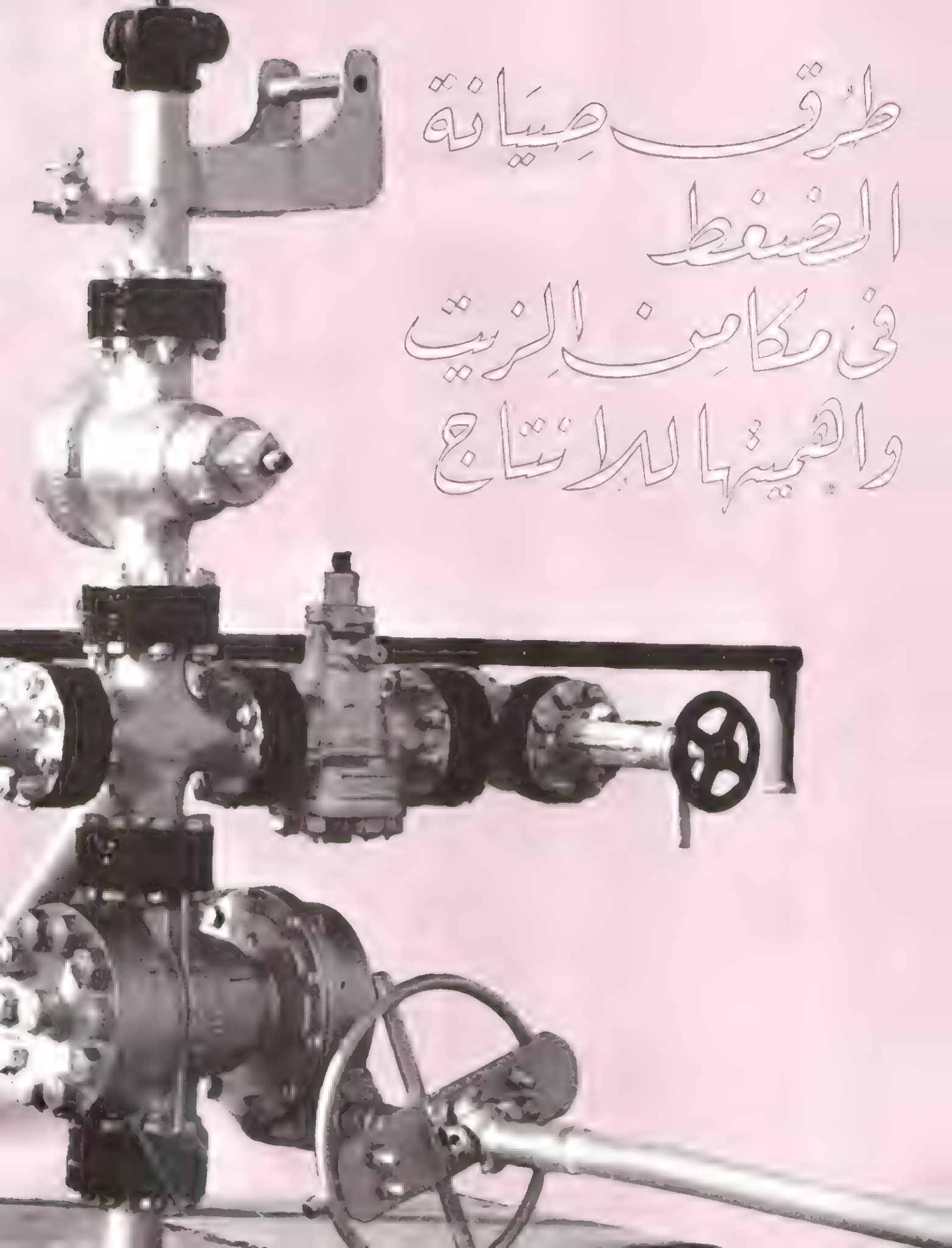
تذكرت عهداً للطفولة ماضيا
وما ترح الذكري وقد شاب مفريقي
أليس وفاء أن أحزن صبابة
توالت سنوه والشهور هنيئة
أروح وما بالنفس هم ، يمضها
واسمع أنباء الرزايا يقصها
ويشكو أمرك هم الحياة وبؤسها
وأعجب ان أبصرت حيران يائسا
يحف لداتي بي فأولن أنسا
من القصب اخترنا الصوارم والقنا
كأنني اذا ما أحذقوا بي قالدا
نصعد طورا في يلفاح وتارة
ونصطاد أسراب الفراش ونشني
وجينا نصيد الطير حيث بدت لنا
ونفترش العشب الذي طله الندى
ونلهم تحت الباسقات طعمنا
ونغشي الرياض الزاهيات صبيحة
واذ نشد الألحان في سفح هضبة
وننطق بالحق الصراح وما نرى
ومن يقصد الكتاب نحبه جاهلا
وكل يخال الزهر لولاه لم يكن
ولولاه كان الصبح أسود حالكا
وكان نسيم الفجر عند هبوبه
ولم يك لولاه الربيع مذبجا
ولا شجر التفاح يؤتي ثماره
ولا كان وقراق الرب كزئبق
ولا الشمس في وقت الغروب كزورق
ولا جعل الخلاق نيسان شاعرا
يحدث من يغوى بآيات ربه
كذلك يكون الطفل منذ ديبه

ويلع من الرشد اذ هو غافل
يرى نفسه في صحوة غير نفسه
به عندما يخلسو هواجس جمه
وتدهمه الأرزاء صعبا لقائها
فمن فقده أما الى فقده أبيا
الى مرض يغشى ذويه مبرح
الى نكبة تخني على ذي مودة
الى هم دين أو توقع فاقلة
الى نائبات لا تعد أليمة

سلام على عهد الطفولة انه
يمثل للطفل الحياة مضيئة
فيلهو كما يغني وما أن يهزه
وتنظره جذلان والناس في أسى
فليتك يا عهد الطفولة عائد



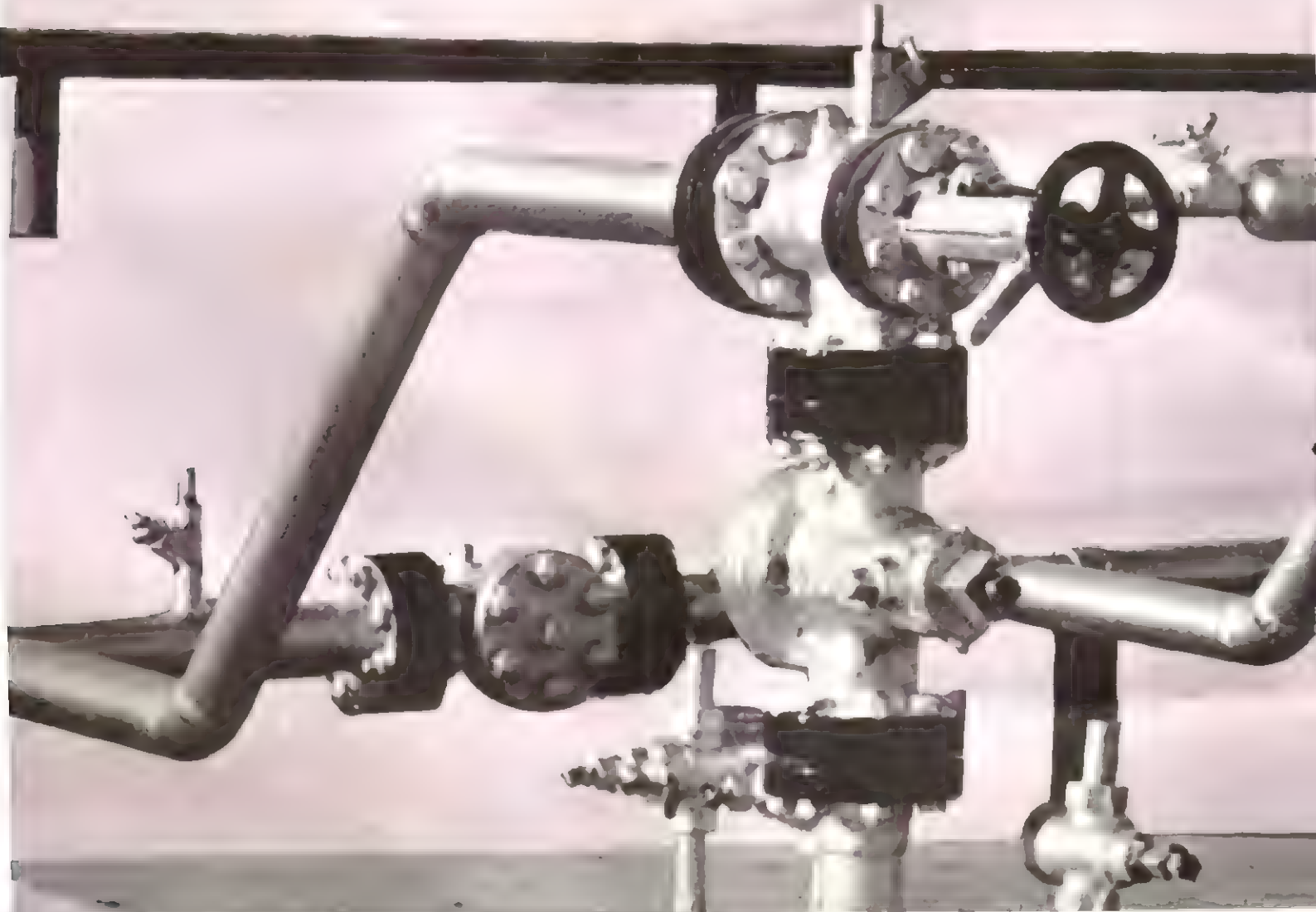
طرق صيانة
الضغط
في مكابس الزيت
والهيدروالبرانتاج



قمر صيانة الضغط في مكامن الزيت على اعتبارات اقتصادية محضة ودراسات علمية واسعة وتخطيطات دقيقة مركزة . فبعد أن يتم اكتشاف الزيت في بئر تنقيية في التركيب الجيولوجي المعلوم ، يشرع في حفر عدد من آبار « التقييم » لتعيين حدود التجمع النفطي والتغيرات في طبيعة صخر المكمن ، وأعماق تلامس الغاز والزيت ، والماء والزيت « Gas-Oil and Oil-Water Contacts » وما الى ذلك . وتحدد مواقع هذه الآبار على أساس المعلومات الجيولوجية المتيسرة ، كما يستمر حفر هذه الآبار حتى يتم العثور على حدود الحقل من كل جانب ، والحصول على المعلومات المطلوبة أثناء حفر آبار التقييم هذه ، وذلك من خلال عينات الصخور الجوفية أو من السجلات الكهربائية التي تفضي بدورها الى الوقوف على معرفة التركيب الجيولوجي للمكمن . وبناء على هذه المعلومات الدقيقة ، يعاد النظر في برنامج الحفر ويجري تعديله اذا لزم الأمر . ان انتاج الزيت من المكمن يستلزم ابقاء معدل الضغط في قعر الآبار المنتجة منخفضا بحيث يكون أقل من معدل الضغط في المكمن . وبتأثير هذا الفارق بين ضغط المكمن الساكن وضغط البئر المتدفقة ينتقل الزيت مع الغاز المذاب فيه نحو قعر البئر ليواصل تدفقه الى الفوهة ، حيث ينساب في أنابيب الجريان . وبناء على ذلك يمكننا أن نستنتج بأن مستوى الانتاج يتوقف الى حد كبير على معدل الضغط في كل من قعر البئر والمكمن ، وعلى سهولة انتقال السائل عبر المكمن نحو قعر البئر . غير أن هذه السهولة تتوقف على درجة نفاذية صخر المكمن وعلى لزوجة السائل

نفسه . ومع استمرار انتاج الزيت من باطن الأرض ينخفض معدل الضغط في المكمن مما يترتب عليه فيما بعد انخفاض في طاقة الآبار على الانتاج . كما أن الدور الذي يقوم به الغاز والماء في دفع الزيت من المكمن يؤثر تأثيرا كبيرا في سرعة انخفاض الضغط في المكمن ، وبالتالي في انخفاض معدل الانتاج وكية الزيت المستخلص . فهناك أنواع من مكامن الزيت تكون قوة دفع الماء المتواجد في أسفل تراكيبها الجيولوجية هي قوة الدفع نفسها التي يعتمد عليها الزيت في الانتاج ، وهناك أنواع أخرى من المكامن تكون فيها قوة الدفع ناتجة عن غاز المكمن نفسه ، أو عن الغاز الذائب في الزيت (الغاز المرافق) ، أو عن قوة الجاذبية .

وفي معظم حقول البترول يبدأ الانتاج من الآبار المنتجة للزيت بعد انجازها ، بالتدفق تلقائيا الى سطح الأرض ولكن عندما يبدأ مستوى الضغط في المكمن بالانخفاض ، يصبح من الضروري عندئذ استخدام أساليب اصطناعية ، كالرفع بحقن الغاز ، تساعد على تدفق الزيت الى سطح الأرض . أما في حال انخفاض الضغط في مكامن الزيت الى حد يتعذر عنده انتاج الزيت الى سطح الأرض فانه يلجأ الى أسلوب الضخ .. ان نسبة الزيت الممكن استخلاصها من المكمن بواسطة طاقته الذاتية الكامنة فيه ، تتوقف عادة على خصائص صخوره وعلى الصفات الطبيعية والكيميائية لسوائله ، وكذلك على نوع الطريقة المستخدمة في عملية الانتاج والاستخلاص . فاذا كانت القوى الطبيعية الذاتية تعطي استخلاصا أوليا متدنيا فانه يفضل من الناحية الاقتصادية تحسين نسبة الاستخلاص



« Recovery Factor » هذه بواسطة حقن المكامن بالسوائل أو الغاز ، وأما نسبة الاستخلاص فهي تعني نسبة مجموع كميات الزيت المحتمل انتاجها وسحبها من المكمن حتى نهاية أجل الحقل الى مجموع الاحتياطي الثابت وجوده في ذلك المكمن .

طرق المحافظة على الضغط في المكمن

ومن أجل المحافظة على ضغط المكمن ، ومن أجل الحصول على نسبة استخلاص أعلى للزيت فانه يتم حقن السوائل في المكامن . ففي عملية الحقن بالماء « Water Injection » يتم ضخ الماء بضغط عال ، عبر آبار للحقن تحفر على حدود التكوين الجيولوجي ، مما يؤدي الى زحزحة الزيت نحو الآبار المنتجة المجاورة ، وهنا ينبغي مراقبة عملية الحقن هذه للتأكد من انتظام سير الماء « Water front » ، كما انه قد يكون من الضروري معالجة ماء الحقن لازالة الرواسب والشوائب الكيماوية العالقة به وذلك لتجنب أي احتمال قد يؤدي الى انسداد مسامات صخر المكمن وتتم عملية حقن الماء هذه في آبار خاصة تحفر على جوانب تركيب المكمن الجيولوجي في المنطقة التي يكون الماء قد وصل اليها دافعا الزيت أمامه الى أعلى التركيب الجيولوجي نتيجة للانتاج المتواصل من ذلك المكمن . وأما عملية الحقن بالغاز « Gas Injection » فتجري عادة بحقن الغاز تحت ضغط عال عن طريق آبار خاصة للحقن . تحفر في مواقع عليا من التركيب الجيولوجي للمكمن أو في المنطقة التي تكون قد تكونت فيها القبة الغازية « Gas cap » وهي ما تسمى به القبة الثانوية « Secondary Gas Cap » ، أو أن تحفر هذه الآبار في المنطقة التي تحتوي أصلا على قبة غازية « Primary gas cap » عندما اكتشف الزيت في ذلك المكمن .

ومع الادراك المتزايد لفوائد المحافظة على الضغط في مكامن الزيت ، وخصوصا في الآبار ذات المقدرة الانتاجية العالية ، أخذت طرق « الاستخلاص الثانوي - Secondary Recovery » تطبق مبكرا في حياة البترول . ويجري التحكم في مقدار ما يحقن من ماء أو غاز وفي مقدار ما ينتج من زيت وغاز بطريقة تحافظ على الضغط في المكمن على المستوى المطلوب .

وما تجدر الإشارة اليه انه في السنوات العشرين السابقة بديء بتطبيق عمليات استخلاص عديدة وطرق جديدة للمحافظة على الضغط في المكامن . فمثلا ، تم تطوير الطرق الحرارية التي تستخدم في عمليات الاستخلاص الثانوي للزيت الخام الثقيل والشديد اللزوجة ، هذه الطرق التي تعمل على تخفيف لزوجة الزيت في المكمن بواسطة التسخين الذي يتم بحقن البخار أو الماء المغلي أو بحرق الزيت الخام جزئيا عن طريق حقن الهواء في المكمن . وتسمى عمليات الاحتراق هذه بعمليات « الاحتراق الموضعي » . كما أن حقن مزيج مناسب من الغاز الطبيعي ومنتجات البترول الخفيفة تحت ضغط مناسب يؤدي أيضا الى المحافظة على الضغط والى انتاج أفضل من مكامن الزيت الخفيف .

ان مكامن الزيت التي تفتقر الى القدرة على المحافظة على ضغوطها الخاصة هي تلك المكامن التي ينقصها الغاز الطليق الى حد ما ، والتي يكون دفع الماء الجوفي فيها أو فيما يجاورها من صخور غير كاف ليحل

محل الزيت الذي يتم انتاجه بمعدل معقول . والمحافظة على الضغط في المكمن في حال وجود دفع الماء الجوفي يمكن تحقيقه بواسطة تنظيم معدلات الانتاج اذا كانت طبيعة المكمن وما جاوره تسمح بتسرب الماء الى الجزء الحامل للزيت من الطبقة الجيولوجية بكميات كافية لتحل محل الزيت المنتج ، وذلك نتيجة للاختلاف في معدل الضغط المتولد عن عملية الانتاج .

ومن الاعتبارات الأولية المتعارف عليها انه لا يمكن لأي مكمن من مكامن الزيت المحافظة على معدل الضغط الأصلي فيه الا بواسطة دفع الماء الطبيعي . وذلك لأن ضغط الماء هذا يأخذ في التلاشي نتيجة للاحتكاك الناجم عن تحرك الماء من خلال مسام الصخور في الطبقات الجيولوجية العديدة . وقد يكون هذا النقصان في مستوى الضغط قليلا في حال وجود صخور ذات مسامات كبيرة . ولكن في الحالات الطبيعية ، وهي التي تكون فيها صخور المكمن ذات مسامات صغيرة ، فإن هذا النقص في معدل الضغط يتراوح ما بين مائه ومئات من الأبطال على البوصة المربعة الواحدة . وما تجدر الإشارة اليه هنا أن المياه المندفعة نحو الطبقة الحاملة للزيت لا تستطيع المحافظة على معدل الضغط في منطقة الزيت الا اذا استطاعت الدخول الى المكمن بمعدلات كافية لتعادل باستمرار الحيز الذي يحدث نتيجة لانتاج الزيت . وبذلك تستطيع هذه المياه المندفعة أن توقف احلال الزيت محلها بواسطة تمدد السوائل الأخرى الموجودة في المكمن كالزيت والغاز . وعليه فإن استمرار نقصان الضغط في المكمن نتيجة للانتاج المستمر يولد فرقا بين ضغط الزيت وضغط الماء ، فيندفع الماء بالسرعة الكافية ليقوم بعملية الاحلال اللازمة .. وهكذا يصبح بالإمكان المحافظة على مستوى الضغط في مكمن الزيت الى حد ما .

ان المحافظة على الضغط في المكمن بواسطة حقن الماء في الأعماق تنطوي على اعتبارات أقل تعقيدا من تلك التي تنطوي عليها عملية المحافظة على الضغط بواسطة دفع الماء الطبيعي المتواجد أصلا في التركيب الجيولوجي . كما ان المحافظة على معدل الضغط فيها يعتمد في الغالب على كميات الماء التي يجري حقنها وعلى علاقة ذلك بمجموع الانتاج المستخلص من المكمن . فإذا كان حجم الماء المحقون يساوي مجموع الانتاج المستخلص من المكمن ، فانه بالإمكان المحافظة على مستوى الضغط الأصلي في المكمن . وفي بعض الحالات يحقن الماء تحت ضغط عال حول حدود المصائد البترولية ليندفع الى صخر المكمن ، وبالتالي يساعد دفع الماء الجوفي نحو منطقة الزيت للمحافظة على الضغط أو تثبيته عند حد معين .

ومن ناحية أخرى يمكن تثبيت معدل الضغط في أي مكمن من مكامن الزيت والمحافظة عليه الى حد ما بواسطة حقن الغاز اذا أصبح الحيز المسامي الذي أحدث نتيجة لانتاج الزيت ، مملوءا بالغاز تحت ضغط معين ، وذلك بتكوين قباب غازية في أعلى التركيب الجيولوجي ، غير أن قدرة الغاز على صيانة الضغط في المكمن تعتمد على كمية الغاز المحقون ، وعلى نوعيته وصفاته الطبيعية والكيماوية . ومن المستحسن دائما أن يكون هذا الغاز هو الغاز نفسه المنتج مع الزيت من الحقل نفسه أو من حقل آخر يماثله في صفاته الطبيعية والكيماوية . ومن المعروف أن زيادة الضغط في المكمن نتيجة للحقن بالغاز يترتب عليها أيضا زيادة في نسبة الغاز المرافق للزيت المنتج .



أحد مرافق معمل التكرير في رأس تنورة حيث
تتم المرحلة الأخيرة لعملية فرز الغاز من الزيت .



أحد مرافق معمل غاز البترول السائل في بقيق حيث
يجري انتاج غاز البترول السائل تحت ضغط عال .



منظر ليلي لمعمل غاز البترول السائل في بقيق حيث تبو الأوعية الرئيسية الخاصة بمعالجة غاز البترول السائل وانتاجه .

كان من نتيجه أن تقرر استخدام أساليب يمكن بواسطتها المحافظة على الضغط في المكامن ، وبالتالي المحافظة على معدل انتاج الزيت الآخذ في الزيادة المطردة .

حقن الماء

تقع تحت تجمعات الزيت في معظم حقول البترول بالمملكة العربية السعودية صخور ذات مسام تضم طبقة تحتوي على الماء ، وحينما يتم استخراج الزيت من المكامن يسيل الماء نحو الحيز (الفراغ) الذي حدث من جراء عملية الانتاج . وللماء هذا ضغط جوفي يساعد على دفع الزيت من أحواضه وتدفعه الى السطح .

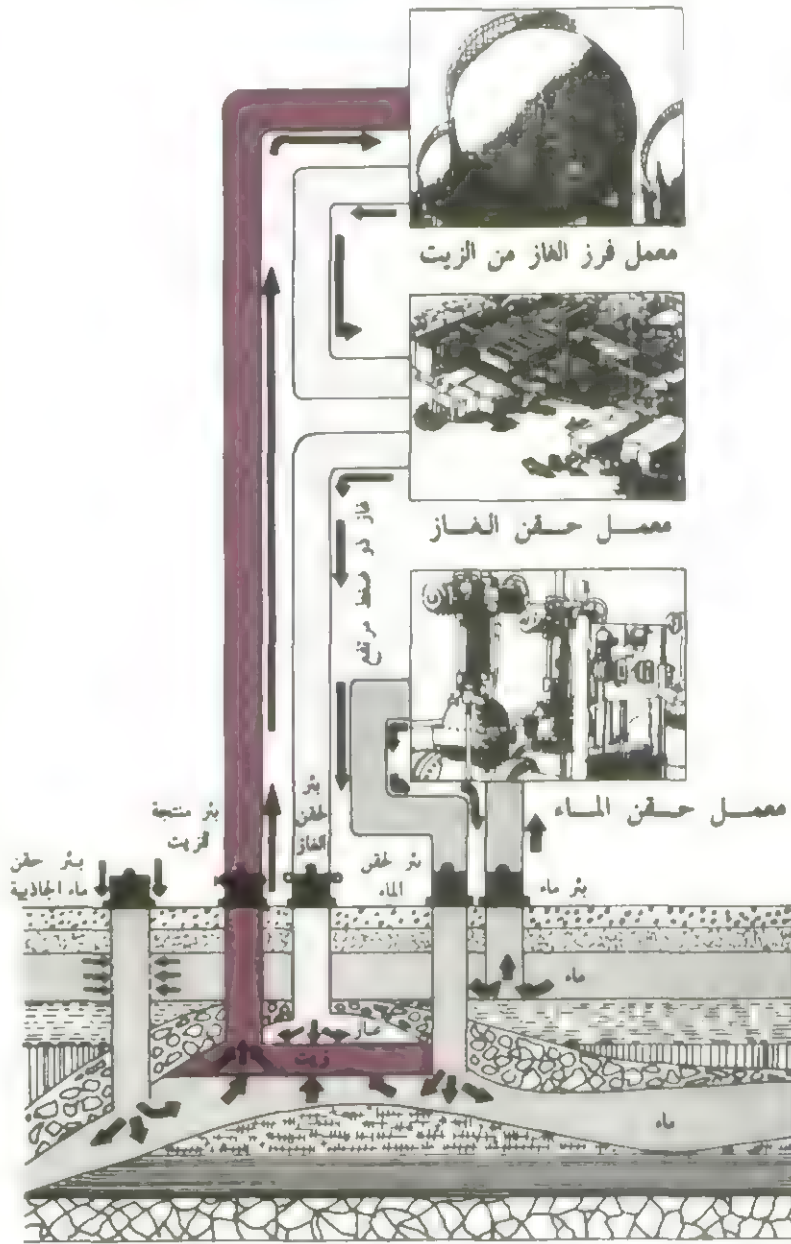
وعلى ذلك يعتبر أسلوب الحقن بالماء الوسيلة الرئيسية لصيانة الضغط في حقول « بقيق » و « الغوار » و « الخرسانية » حيث يحقن الماء غير الصالح للشرب أو الزراعة من خلال آبار معينة تحفر على حدود الحقل لهذه الغاية . وفي معظم آبار حقن الماء هذه يتدفق الماء العديم الاستعمال من مصدره بقوة الجاذبية الى صخر المكمن الخازن للزيت ، حيث يكون الصخر الحامل للماء واقعا في طبقة أعلى من طبقة الزيت . وتعتبر هذه الطريقة قليلة التكاليف اذا ما قورنت بغيرها ، فضلا عن سهولة صيانتها . وبالإضافة الى هذه الطريقة ، فان هناك بضع آبار للحقن تقع في « بقعة » ، شمالي بقيق ، تستعمل فيها المضخات لحقن الماء . ومصدر الماء المستعمل في عمليات الحقن في حقل بقيق والخرسانية هو تجمع « الوسيعة » « Wasia aquifer » الضخم ، وهو ماء ملح جدا وغير صالح للأعمال الزراعية . وأما بالنسبة للحقول الواقعة في مناطق عين دار وشدقم والعثمانية من حقل الغوار فتستعمل مصادر الماء الواقعة ضمن طبقات « الوسيعة » و « البياض » و « السلي » « Wasia, Biyadh and Sulaiy Formations » . هذا ، وقد بدأ أسلوب الحقن بالماء في الطرف الشمالي لحقل بقيق خلال عام ١٩٥٧م وذلك عندما أقامت « أرامكو » وحدة اختبارية تجريبية لحقن ماء الخليج العربي في مكامن الزيت الواقعة شمالي حقل بقيق . غير أن الدراسات والأبحاث التي أجريت على هذا المشروع التجريبي ، أثبتت عدم جدواه من الناحية العملية والاقتصادية مما اضطر الشركة الى إيقافه ، أما بالنسبة لمنطقة عين دار فقد بدأ بعملية حقن الماء في عام ١٩٦١ ، تلاها بعد ذلك منطقتا شدقم والعثمانية ، وأخيرا الخرسانية .

حقن الغاز

بعد أن يتم فرز الغاز من الزيت في المعامل والمنشآت المعدة لهذا الغرض ، يعاد حقنه من جديد تحت ضغط عال في آبار حفرت خصيصا لهذا الغرض في أعلى التركيب الجيولوجي للمكامن ليحل محل الزيت الموجود هناك أن وجد . وبهذه الطريقة يدفع الغاز الزيت نحو الآبار المنتجة والموجودة في مواقع سفلى من التشكيلات الجيولوجية للمكامن ، ونتيجة لذلك فان مستوى انتاج الزيت من الحقول يبقى ثابتا أو يزداد اذا ما حوفظ على معدل الضغط في المكامن . وهناك فائدة أخرى مهمة تعود بها هذه العملية ،

طرق صيانة المكامن في معظم حقول الزيت بالمملكة العربية السعودية

ان قوى الدفع الطبيعية الكامنة في حقول الزيت بالمملكة العربية السعودية تجعل الزيت يتدفق تلقائيا حيث لا تدعو الحاجة الى استعمال المضخات لرفعه من الآبار المنتجة . ولكن هذا الضغط الذاتي الذي ينشأ جزئيا عن الغازات المذابة في الزيت لا يستمر بصورة دائمة ، لأنه كلما استخرج الزيت من باطن الأرض وخرجت معه الغازات المرافقة انخفض معدل الضغط في المكمن . وللمحافظة على معدل الانتاج وعلى الضغط في مكامن الزيت وللحصول على نسبة استخلاص جيدة للزيت قامت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) بدراسات وأبحاث دقيقة لهذا الموضوع ،



رسم توضيحي لعمليتي حقن الماء والغاز اللتين تتبعهما أرامكو في المحافظة على الضغط في مكامن الزيت بالمملكة العربية السعودية :

وهي ضغط الغاز داخل مكان من الزيت أو المصائد البترولية الواقعة في قباب الغاز الأولية أو الثانوية « Primary or Secondary Gas Cap » حتى يأتي اليوم الذي يصبح فيه أمر الاستفادة منه ممكنا . ولطه الأغراض جميعا أقامت « أرامكو » معملين ضخمين لحقن الغاز ، يعتبران من أكبر المعامل في العالم ، أحدهما يقع في منطقة بقيق حيث يجمع الغاز ذو الضغط العالي (٤٠٠ - ٥٠٠ رطل على البوصة المربعة) ، القادم من معامل فرز الغاز من الزيت ، وينقل بواسطة أنابيب خاصة الى معمل حقن الغاز حيث تجري عملية رفع ضغطه على ثلاث مراحل حتى يصل الى حوالي ٢٥٠٠ رطل على البوصة المربعة ، وبعدها يدفع الغاز الى آبار الحقن المخصصة لذلك في الطرف الجنوبي لحقل بقيق .

وأما المعمل الآخر لحقن الغاز فيقع في منطقة عين دار في حقل الغوار ، حيث يجمع الغاز ذو الضغط العالي من معامل فرز الغاز من الزيت في عين دار ومن معمل فرز الغاز من الزيت في منطقة « شدم » ، ويرفع ضغطه على مراحل ، ثم يحقن في آبار معينة في القبة الشمالية والقبة الجنوبية من منطقة عين دار « North and South Domes of Ain Dar »

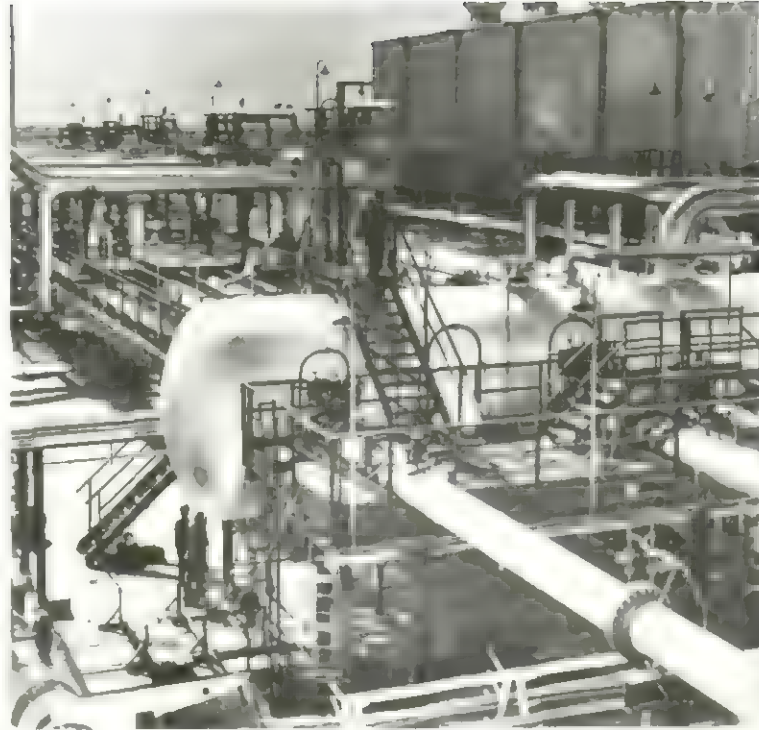
المشاكل التي تفرض أساليب المحافظة على الضغط في المكمن

على الرغم من تطبيق الأساليب والطرق السالفة الذكر والخاصة بالمحافظة على الضغط في بعض مكان من الزيت ، فإن احتمال نجاحها قد لا يكون مضمونا في بعض الأحيان . إذ أن مميزات المكمن وصفاته لا تسمح أحيانا بالعمل على صيانة الضغط فيه ، وذلك إما بسبب خواص صخر المكمن من حيث درجتي النفاذية والمسامية ، وكية تشبع صخر المكمن بالزيت ، أو لأسباب اقتصادية محضة .

إن التغيرات الكبيرة التي تطرأ على درجة نفاذية الصخور أفقيا أو عموديا قد تجعل الغاز أو الماء يتدفق خلال أجزاء محددة ذات نفاذية عالية تاركا وراءه الزيت في الجزء الأكبر من صخر المكمن ، أو أنها قد تتسبب في رفع التكاليف المترتبة على الحقن بالغاز أو بالماء بحيث تصبح مجزية وغير اقتصادية .

إن من أهم متطلبات عملية صيانة الضغط في المكمن هو الحصول على المعلومات الدقيقة والضرورية خلال السنوات الأولى لاستغلال الزيت من مكمنه ، وذلك تمهيدا لاتخاذ القرار المناسب من حيث الانتاج وغيره أو من حيث وضع برنامج معين يرمي الى المحافظة على الضغط ويكون مطابقا وموائما لخواص المكمن وامكاناته الطبيعية والكيميائية .

وما تجدر الإشارة الى معرفته هنا هو أن القدرة على استخلاص الزيت بواسطة المحافظة على الضغط في المكمن من خلال التحليل الحسابي النهائي ، تعتمد اعتمادا مباشرا على العوامل الاقتصادية التي تحدد الوقت الذي يجب أن تتوقف عنده هذه العملية . إن تحليلا كاملا للتكاليف المترتبة على القيام بهذا المشروع على المدى البعيد لا يقل في أهميته عن أمر الحصول على الصفات الطبيعية للمكمن ، وهي صفات صخوره والسوائل الموجودة فيه . كما أن التخطيط البعيد المدى والدراسات المستمرة لمعرفة صفات صخور المكمن وعلى قدراته على الانتاج ومدى تغير الضغط ، تعتبر ولا شك ، من العوامل الهامة في هذا المضمار ■



معمل حقن الغاز في عين دار ، وهو أحد المعملين اللذين تستخدمهم أرامكو لحقن الغاز في أغراض المحافظة على الضغط في المكمن وعلى مستوى الانتاج .

يمر الزيت الخام لدى تدفقه من حقول الزيت بمعامل لفرز الغاز منه ... ويبدو في الصورة معمل لفرز الغاز من الزيت في منطقة شدم .



تصوير : برنت مودي ، سعيد الفامدي ، علي محمد خليفة ، وعبد اللطيف يوسف .

رأي في اختطاط مدينة القيروان

بقلم الدكتور عبد الرحمن باغى

أو السواحل ، كما يوضح الأهداف التي من أجلها قامت المدن الأخرى في إفريقية .

ولعل من الخير لنا أن نكون حذرين في تناول هذه الأسس . فقد حاول عالم الاجتماع . وابن هذه البيعة « ابن خلدون » أن يستخلص لنفسه رأيا في هذا الصدد . فلقد كتب في تاريخه حول اختطاط المدن يقول : « .. والمباني التي يختطونها يسرع اليها الخراب لقلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن في المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعي .. » ويمضي في شرح رأيه وتفصيله ، ويمثل لذلك بالكوفة والبصرة والقيروان ، وكيف أسرع اليها الخراب والانحلال .

نقف عند هذا الرأي فيما يتصل بالقيروان قبل كل شيء ، لأن صاحب الرأي قريب الصلة وثيقها بهذه المدينة ، واسع الثقافة ، ولا سيما بطبيعة العمران وبطبيعة الشعوب في ارساء قواعد العمران . واذن فلرأيه قيمة في هذا البلد على أقل تقدير .

كان من رأي العلامة « ابن خلدون » ان القيروان كغيرها من المباني التي اختطها العرب يسرع اليها الخراب .. وانه لم يراع في اختطاطها حسن الاختيار : فلا المكان خير من غيره لمستقر حضاري ، ولا الهواء فيه أطيب لسكن ، ولا الماء فيه أعذب لوارد ، ولا المزارع أو المراعي فيه أخصب لمتجمع .. واذن فقد صادفوا فيه مراعي لابلهم ولم يترثوا حتى يثبت لديهم طيب المراعي أو زكاه المزارع والمنازل والأهوية . واذن فلم تكن القيروان الا مرعى ابل ولم تتصل بالعمران ، وانما هي قريبة من القفار ومن مسالك الظعن . ولم تكن في وضع طبيعي يعدها لكي تكون مدينة راسخة العمران تغري بالاستقرار وينجذب لها الناس فيعمروها . واذن فقد تناوب الخراب والانحلال هذه المدينة كما يتناوب غيرها من المدن التي لا يراعى فيها مثل تلك الأمور !

هذا هو مدار رأي ابن خلدون حول القيروان ، وهو رأي قوي جريء صريح . ولقد كنت أخشى على نفسي من أن أسلم لابن خلدون بادية ذي بدء بشأن هذه المدينة . فهو لم ينكر أن أمرا ما دفع القوم لاختطاطها .. ولكنه ظهر لي فيما بعد ان العالم الكبير كان معجلا في هذا الرأي . فقد سلم بأن القوم أرادوا شيئا من اختطاطها ، ولكنه شيء غير ذي بال ، بل هو قريب المنال .. تكاد لا تتميز به هذه البقعة عن سواها من سائر البقاع .

العمران ، حين يرسي قواعده في قطر من الأقطار يتخذ ملامح وسمات خاصة ترسمها على وجهه حركة الحياة في أبعادها الاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية . فحين تكون المطامع التجارية هي الغالبة تقوم المدن في القطر لتحقيق تلك الغاية . ومن هذا القبيل نشوء المدن في إفريقية قبل الفتح العربي . فقد كانت الأمم الأولى التي وفدت على تلك البلاد قبل قدوم العرب اليها تطمع في ذلك القطر طمعا تجاريا قبل كل شيء وكانت عناية الفينيقيين بالتجارة ، ولا سيما البحرية منها عناية فائقة . ومن هنا فقد دفعتهم تلك العناية الى اقامة قرطاجة على الساحل للحفاظ على قوتهم التجارية . ويسر لهم السيادة البحرية .

ثم أقبل الاغريق ، وكانوا ماهرين في ركوب البحار ، فتطلعوا كذلك الى الساحل ، لعلمهم أن يقيموا لأنفسهم مستعمرات ساحلية تكون لهم كالمحاط التجارية ، ولكن الفينيقيين فوّتوا عليهم الفرصة .. فلئن كانت للفينيقيين محاط تجارية تنتهي اليها طرق القوافل التي كانت تعبر الصحراء جنوبا الى قرآن ، ومنها الى أواسط إفريقية لتيسر لهم نقل الذهب والعاج من تلك الجهات الى الأسواق المنتشرة في حوض البحر الأبيض ، فان تلك المحطات لم تنشأ لتكون مواقع عمران راسخ ، بل كانت مجرد محطات عابرة ليس الا .

وحين قامت قوة روما على أنقاض قرطاجة ، مدت بصرها على طول الساحل الافريقي لتقيم عليه مراكز لتجارنتها . وحذا حذوهم هذا من بعدهم البيزنطيون .. وهكذا انصب اهتمام تلك الأمم التجارية نحو الساحل ، وتركوا جسم البلاد الداخلي تنتقل فيه القبائل البادية .

وحين أقبل العرب جذبهم الساحل كذلك في بادئ الأمر ، حين لم يكونوا قد قرروا بعد الاستقرار فيما فتحوا من بلاد إفريقية . وحين جاء « معاوية بن حديج » واستقل بحكم ولاية إفريقية ، أخذت عوامل الاستقرار تراوده . وما كاد « عقبة بن نافع » يقبل واليا على البلاد حتى فكر في ارساء مستقر له ، فجعل يفكر مليا قبل أن يؤسس مدينة القيروان . فلم تكن الغاية — اذن — من انشائها التجارة ، كما كان الشأن مع المدن الساحلية ، وكما كانت مطامع الأمم التجارية التي سبقت الفتح العربي . ولعل في نشوء مدينة القيروان في إفريقية ما يوضح الأسس الأولى التي قام عليها العمران العربي الاسلامي داخل القطر ، وليس على الشاطيء

ونحن حين نستأنس برأي « ياقوت الحموي » في معجمه للبلدان ، ونقرأ قول « ابن الكلبي » عن عقبة بن نافع ، وقد جمع اليه من أسلم من البربر ، وضمهم الى الجيش الوارد من قبل معاوية ، وصار الى افريقية ونازل مدنها ، فافتتحها عنوة ، وأسلم على يده خلق من البربر ، وفشا فيهم دين الله حتى اتصل ببلاد السودان .. فجمع عقبة حينئذ أصحابه ، وقال : ان أهل هذه البلاد قوم لا خلاق لهم اذا عضهم السيف أسلموا ، واذا رجع المسلمون عنهم عادوا الى عاداتهم ودينهم . ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم رأيا ، وقد رأيت أن أبني ههنا مدينة يسكنها المسلمون ، فاستصوبوا رأيه . فجعوا الى موضع القيروان ، وهي أجمة عظيمة وغيطة في طرف البر لا تشقها الحيات من تشابك أشجارها ، وقال : « انما اخترت هذا الموضع لبعده من البر لئلا تطرقها مراكب الروم فتهلكها .. وهي في وسط البلاد » .

فالقيروان قد اختطت على طرف البر دون أن يتصل بها العمران أو أن تتصل هي بالعمران ، ولا بد أن تتوفر حوطا المراعي الصالحة للانتجاع . فهذه الغياض المليئة بالسباع والهوام لتشابك أشجارها توفر أخصب المراعي وأكثفها .. لكن الأمر كان أخطر من أن يقتصر على هذا وحده . ولقد دفعت غايات أخرى غير هذه « عقبة بن نافع » الى أن يطيل التفكير وينعم النظر قبل أن يتخذ قرارا بأمر اختطاط هذه المدينة . فلم يكن الأمر شيئا عابرا بل كان مرتبطا بالشؤون العسكرية يترتب عليه سلامة الجيوش الاسلامية في افريقية . وهو أمر جدير بأن يدعى له الناس ، وتعتقد من أجله الشورى ، ولا بد من التزام التروي والتدبر من أجل حساب جميع الاحتمالات .

كل هذه الأمور صرفتني عن التسليم لابن خلدون ، وجنحت بي الى ترجيح رأي « ابن الكلبي » . أليس هما من مهوم المسلمين ومهوم عقبة أن يختاروا مستقرا تطمئن له جيوش المسلمين قبل كل شيء بحيث لا يثيرهم عنه أسطول الروم القوي .. وأي عمران كان متصلا في هذه البقاع حتى نشعر بسببه ان القيروان كانت بدعا من البدع بانعزالها عن سائر المدن المعمورة بالحضارة ! وما يزيدنا ثقة برأي « ابن الكلبي » ما يورده لنا « المالكي » في « رياض النفوس » من حديث عقبة لأصحابه في افريقية : « .. أرى لكم يا معشر العرب أن تتخذوا بها مدينة تجعلوها عسكريا ، وتكون عزا للإسلام الى آخر الدهر .. »

ويجري حوار بين الأصحاب حول الأمر ، فيقترح أحدهم أن يكون اختطاطها قريبا من البحر . ويرد عقبة على ذلك بقوله :

« .. اني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية فيهلكها . ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركه غزاة البحر .. »

وحين يتصدى أحد الأصحاب أو بعضهم ، فيقترح أن يتأوا بها عن السبخة خوف الذئاب وشدة البرد في الشتاء وقسوة الحر في الصيف .. يقول عقبة :

« .. لا بد لي من ذلك ، لأن أكثر دوابكم الابل .. وهي التي تحمل عسكريا .. والبربر قد تنصروا ، وأجابوا النصارى الى دينهم .. ونحن اذا فرغنا من أمرها لم يكن لنا بد من المغازي والجهاد ، ونفتح الأول منها فالأول .. فتكون ابلتنا على باب مصرنا في مرعاها آمنة من غارة البربر والنصارى .. »

وكانت ثمرة الحوار أن أجاب الصحاب عقبة الى ما أراد ، فمال الى موضع بناء المدينة على ساحل واديها ..

وما يقوله المالكي عن موضع القيروان :

« .. وكان موضع القيروان حصن لطيف للروم يسمى « قموينة » ، وكان فيها كنيسة ، وفيها الساريتان الحمراء اللتان هما اليوم في المسجد الجامع . »

وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه من ان البيزنطيين أو من سبقهم كانوا يقيمون داخل البلاد محطات غرضهم منها ليس العمران الحضاري ، وانما هي كالقلاع والحصون لحفظ تجارتهم الواردة من وسط افريقية والسودان .. وكانوا ربما أقاموا فيها كنائس صغيرة . ولعل في هذا ما يشير الى اتخاذ البيزنطيين الحصون رباطات فيها بعض رجال الدين المسيحي . وكان الصلة وثيقة بين الدين وحماية تلك القلاع في هذا القطر في زمن البيزنطيين ، كما كانت وثيقة في الرباطات زمن العرب المسلمين حيث كانت فكرة الجهاد الديني هي التي تنظم تلك الحراسة في الحصون .

نتناول الشق الثاني من رأي العالم الكبير « ابن خلدون » نجد ان الخراب لم يسارع الى القيروان ، وان آثارها لم تنمح مع توالي النكبات عليها . ويؤيد هذا الرأي ما قاله « كودل - Coudel » في تعليقه بهذا الشأن :

« .. وكان اختيار المكان موفقا ، بل بلغ من التوفيق في اختياره ان ولاية المغرب ومن خلفهم من الحكام المستقلين أقاموا بها زمانا طويلا ، ولم ينتقلوا عنها الا حينما اضطرتهم ظروف سياسية جديدة الى ذلك .. كما كان موقعها الحربي ملحوظ الأهمية .. » ويمضي في كلامه فيكشف عن أهمية موضعها من الوجهة العسكرية .

يدل كل هذا على ان اختطاط هذه البلدة كان أبعد من الغرض التجاري البحت .. ذلك الغرض الذي لا يتحول بتحول الأزمنة ، بل كان غرضا عمرانيا راسخا .. حضاريا ثابتا .. يصلح لعقبة ولن يجي بعد عقبة . ومن هنا كان البنيان مستقر الجنبات ، وكانت فيها دار العمادة ، وقام بها جامع عظيم !

وما رأى ابن خلدون في وصف « ابن حوقل » لها حين زارها في منتصف القرن الرابع ؟ « .. أعظم مدائن المغرب ، وأعظمها تجرا ، وأكثرها أموالا ، وأحسنها منازل وأسواقا .. وبها ديوان جميع المغرب ، واليها تجبى أموالها ، وفيها دار سلطانها .. »

ويذكر « البكري » في كتابه « المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب » .. انه كان لمدينة القيروان اذ ذاك أربعة عشر بابا ، وكانت سوقها تمتد على طريق يبدأ من الجامع وينتهي الى باب الربيع في جنوب المدينة ، وكان طول هذا الطريق ميلا وثلثين ، وكان سطحها متصلا فيه جميع المتاجر والصناعات .. وقد أمر بترتيبه هكذا هشام بن عبد الملك ، وكان ذلك في سنة خمس ومائة للهجرة .. »

ولقد ظل جامع القيروان قائما ثلاثة عشر قرنا ، وقد اتخذ المسلمون مثذنته نموذجا لما ذن مساجدهم كما اتخذوا قبابه وعقوده ونظام بنائه .. ثم أنشأ المسلمون تونس لتكون ميناء تحرس افريقية من عدوان الروم ، ولتوجه منها الأسطول الاسلامي الى سواحل الروم ، فيشغلهم عن الاغارة على افريقية .. وهكذا فقد أنشئت المدينة الثانية في افريقية لتحرس البلاد من البحر ، بينما تحرس القيروان البلاد في الداخل .

ولقد رسخ العمران وكان مسرحا لحضارة وحياة اجتماعية وسياسية وفكرية على مدار العصور

الوضع الرهيب الذي كان
يخيم على جميع ركاب الطائرة ،
فاني استطعت أن أعود الى الوراء قليلاً لاستعيد
ذكرى لقائي الأول بها قبل ساعات عندما غادرت
طائرنا روما في طريقها الى دمشق .

لم يكن في مظهرها آنذاك ما يلفت النظر اليها
الا أناقتها المترفة ، المحيطة بجمال طبيعي ليس
بالصاحب المثير ولا بالهاديء الغامض .

العينان - وهما أول ما لفت نظري اليها -
سوداوان قاتمتان ، تحيط بهما أهذاب ليلية تنظم
نظراتها ، حتى لتظن انها تحمل ألف معنى
ومعنى . وأنفها الكنعاني ينحدر بتحدب هادىء ،
وانسياب رقيق ليحنو على شفتين كرزيتين .
انك لتشعر ، وأنت معها ، انك أمام أكثر من
شخصية لتضارب تقاطيعها التي تفرقك في متاهات
لا يتفكك فيها علم الفراسة .. فتحار ويحار معك
العلم في تحليل تلك المخلوقة ، التي لا تضحك ،
ولكنك تشعر انها تمثل الضحك والتفاؤل بكل
معانيهما ، ولا تعبس ، ولكنك تحس انها بئر
نعاسة وشقاء .

عفا .. ها هي ذى تمر الآن أمامي ، بخطواتها
الرتيبة المنتظمة ، وقوامها السميري الملفوف ،
وكأنه ليس في الأمر ما يقلق ، وكأن الطائرة لم
يمض عليها خمس دقائق وهي تحوم في سماء
دمشق دون أن تستطيع هبوطاً ، وكأن الذعر
الرهيب الذي يسيطر على أعصاب جميع ركاب
الطائرة لا يعينها أبداً . شعرها الحالك السواد ما زال
كما هو ينسدل على كتفها معانقا خديها ، ومحيطا
بأذنيها بحذب عجيب ، وكأنه يهمس فيهما بسر
هدوئها .

وأعود الى نفسي ، وأنا غائص في مقعدي
الوثير ، فتعتريني رعشة مفاجئة بعد سرور ،
أدرك من خلالها ان أيام عمري قاربت نهايتها .
ولم يبق لي منها اللحظات قلائل ، لحظات ونهوي
الطائرة الى الأرض ، فأصبح أشلاء مبعثرة تمزج
بأشلاء الآخرين ، ويقيم أقاربى ماتما لي ينعون
فيه صحفيا كان بالأمس القريب ملء العين
والبصر . ولن تمضي أيام ، حتى أصبح خبراً منسياً
كالأخبار التي أجدهمسة في الحصول عليها ، ثم
لا ألبث أن أنساها اذا ما جد في الأمر جديد .

وترتجف الطائرة كرعشة القلب عند نظرة الحب
الأولى . لاحظوا انني أفكر الآن بالحب !..
ويضع جاري يده على بطنه ، ويفرغ ما في
معدته من محتويات على نفسه وعلى ثيابه ، فلا
أنحرك من ذهولي ، ولا التفت اليه ، وأنا أسمع



لن أموت على الرصيف الأيسر ..

بقلم الأستاذ عبد الوهاب فتال

يردد بعض تتممات التوبة ويطلب الرحمة والغفران من ربه . وما كانت هذه المثبرات لتدفعني للاقتداء به ، ليس لأنني لم أكن خاطئا تجب عليه التوبة في هذا الوضع اليائس ، بل لأنني كنت أعتقد بأن ذنوبي لو فرتها لا تكفيها تتممات سريعة تستغفر ربي في لحظة حرجة لا يدرك فيها الانسان في الواقع ماذا يفعل لتمحي تلك الخطايا وهذه الذنوب .

واستيق من تأملاتي تلك على احساس بيدها الرقيقة تمسك بمنديل أبيض لتمسح به ما علق بياضي . وأنسى في هذا الموقف كل ما حو لي من صخب وذعر ، وأنظر من جديد في عينيها - وكما قلت لكم فالعينان أول ما لفت نظري اليها - وأحاول من جديد أن أغوص فيهما ، وأن أستطلع سرهما وان أعرف فيهما شيئا مما يساور جميع الناس في مثل هذا الحال من قلق ، فلا أستطيع .. أحاول ذلك وأنا أسترجع جميع ما حفظته من دروس علم النفس ، فلا أجد في نظراتها التي تنظمها أهداب ليلية حاملة الا أمنا وسلاما ، ولا أجد في رفيف أجفانها المخملية الا هدوما كاد يفقدني أعصابي .. كدت أثور ، وكدت أنعتها بتبيلد الشعور والاحساس .. ولكن هذا من ثائرتي ما ظننته شبح ابتسامة بدت كومض البرق على شفيتها ، لتبدو خلفها أسنان لؤلؤية . وانسجبت عني بخطواتها الرتيبة المنتظمة .. بقدها السمهري ، وشعرها الأسود الحالك الذي يحيط بخدين مخمليين ، ويحنو على أذنين دقيقتين يخفي نصفها وكأنه يهمس لها بسر .. أي سر ذاك الذي تهمس هذه الخصلات الحريرية . وفجأة أحس ومضة تفلت من أعماقي لتهمس في شعوري سرها ، أو هذا ما اعتقدته على الأقل ..

انه ما من غموض أبدا في تلك العينين السوداوين اللتين تحيط بهما أهداب ليلية تنظم نظراتها .. انها لا تهاب الموت ، هذا ما اعتقدت انها تريد أن تقوله . يا لها من غيبة .. انها تتحدى العاصفة التي جعلت من طائرتنا الضخمة ورقة خريفية في قلب كانون .. تتحدى النار التي اندلعت في محرك الطائرة الأيمن ، والتي لن تلبث حتى تصل إلينا هنا جميعا ، نحن ركاب الطائرة وهي معنا .. فما معنى التحدي إذن ؟ هل تكون أقوى من ذلك الشاب الواثق من نفسه الذي كان يقف قبل برهة بيننا عندما كنا نحلق فوق قبرص ، وهو يروي لنا كيف استطاع أن يضبط أعصابه ، وهو يقود طائرته ذات مرة فوق الجزيرة عندما اندلعت النار في محركها .

لقد قال لنا انه استطاع أن يوصلها الى البحر بأمان .. ولكنني ألمحه الآن هناك في ركن الطائرة وقد امتنع لونه ، وأحال اني اراه يرتجف كمن أصابته رعدة حمى قاتلة .

وذاك الذي كان قبل لحظات يملأ الأجواء بضحكاته ، ويوزع علينا نكاته ، وكأنها حبات الحلوى التي وزعتها علينا هذه الفتاة الغامضة التي لا تضحك ، ولكنك تشعر بأنها تضحك بكل تفاؤلها ، ولا تعبس ، ولكنك تحس بأنها برّ تعاسة وشقاء .. انه الآن يبدو كالتائر الذبيح ، ويصبح بلا وعي ولا شعور : لا .. لا أريد أن أموت . وانه سيموت ، وسأموت معه أنا ، وسيموت معنا هي أيضا تلك التي لا تضحك ولكنك تشعر بضحكها ، ولا تعبس ولكنك تحس بشقائها . فلماذا التحدي ؟ . أتراها ملّت حياتها ، حتى انها لم تعد تأبه بها ؟

وتحوم الطائرة في نصف دائرة جديدة وتهوي الى الأرض بانحدار جنوبي ، ويقع جاري على وجهه ويسيل الدم من أنفه ، ويغى على المضيفة الثانية ، ويرسم ذاك ، الذي أراه من هنا حيث أجلس ، شارة التوبة على وجهه ويغمض عينيه ويستسلم للموت ، وتقع حقيبة صغيرة فوق رأس شابة في مقبل العمر ، محا الاصفرار جمالها فاذا بها كدمية لا تحس ولا تشعر ، وأطل من نافذتي لأرى أنوار دمشق المتألثة تقرب مني بسرعة هائلة ، ويتصخم حجمها كلما أوغلنا بالانحدار . وأحس ان النهاية قد اقتربت ، وان هي الا ثوان حتى نقضي مع طائرتنا التي ستفجر في شارع يقص بالناس ، فتموت ، ويموت معنا آخرون .. وتطلع الصحف على الناس صياحا يخبر المأساة مصورة كسبق صحفي ، وفي الصورة قد يظهر جزء من يدي على رصيف الشارع الأيمن ، وجزء آخر منها على الرصيف الأيسر .. بالمناسبة أنا أريد جثتي كلها على الرصيف الأيمن ، لثلا يتنثر على الزملاء بعد موتي ، فيقولون : عاش يمينيا ، ومات على الرصيف الأيسر .. وبعد حين أصبح خبرا منسيا ، كالأخبار التي نشرتها يوما ونسيتها . الطائرة ما زالت تنحدر بجثون ، وأنا ما زلت في مكاني أبحث عنها ، أريد أن أرى علامة دعر تبدو على محياها الجميل . أريد أن ألمح رعدة اضطراب على ذقنها البارزة بانافة محببة لاتحدى تحديها قبل أن أموت وتموت ..

وفجأة تفتح الباب بعنف وتستند الى حافته بثقة القائد الواثق من النصر ، والطائرة ما زالت تهوي ،

وأخذت تصوب اليّ كل فظرتها هذه المرة .. لم أحس آنذاك بأهدابها الليلية التي تنظم هذه النظرة ، ولم ألمح تحولا في لون بشرتها المخملية . كانت تتحدى بكل قوتها ، ونحلت ان صوتا من أعماقها يدوي في أذني : لا أهاب الموت أبدا .. ستموت أنت ذعرا أيها الجبان الخائف ، وسيموت كل هؤلاء الذين وهنوا .. أما أنا فلا أهاب الموت .. وفجأة ترجع الطائرة الى الأعلى ، ولا أعير هذا الأمل الجديد التفاتا ، لأنني كنت في ذهول عن الحياة بهذا الايمان العجيب بالحياة عندها .. ترى هل تستطيع أن تتحدى العاصفة الهوجاء .. والنار المشتعلة بالطائرة .. والوقود الذي أخذ يفقد .. واعلان حالة الطوارئ القلقة من قبل الربان . الطائرة ما تزال ترتفع .. وبدأ إيماني بالحياة يقوى . ترى هل تهبط طائرتنا الى الأرض سالمة . هي وأنا وحدنا تجاوزنا الاغماء أما الباقون فهم أشبه بالجنث الهامدة ، انهم ماتوا قبل الموت ، أما أنا فكنت أتجلد .. كنت أنتظرها لتموت فأموت .. لن أموت حتى تموت ، أجل أريد أن أتحداهما ولو للحظة واحدة قبل موتي .

الطائرة

عادت تنحدر من جديد الى الأسفل .. هذه المرة عادت تنحدر رويدا رويدا .. انني لا أرى أضواء دمشق . أين نحن ؟ .. ترى هل عاد الذعر الرهيب لمداعبتنا .. عيناها ما زالتا ترسلان شعاع التحدي الذي أخذ يخف .. ويخف . وأخيرا ها هي ذي الطائرة تدرج على أرض المطار .. وبكل اناة تتوقف . لقد نجونا من الموت ، هذا ما أردت أن أقوله لها . ولكنها راحت بخطاها الهادئة المنتظمة الرتيبة ، تسير بقوامها السمهري المشوق الى باب الطائرة . ويهدوء عجيب تفتحته ، وكأنها لم تكن قبل لحظات بين الموت والحياة ، وتهبط سلم الطائرة ، وأنا أتبعها .. فرق الاطفاء تسلط خراطيمها على المحركات .. رجال الاسعاف يسرعون لانتشال الركاب .. الطائرة ستفجر بين لحظة وأخرى ، وأنا ما زلت أتبعها .. انها لا تلتفت الى الوراء أبدا . الطائرة ستفجر .. انها تسرع الخطى .. ليست خطاها هذه المرة رتيبة منتظمة . انها تركض الآن .. أنا أركض ورائها أيضا .. ها هي تحتضن طفلة في العاشرة من عمرها . ما الأمر ؟ . ان عينيها تشرق بالدموع .. وتنفجر الطائرة ، ويرعب انفجارها المدينة .. ورغم عنف الانفجار سمعت صوتها لأول مرة : - من أجلك عدت هذه المرة أيضا يا بنتي الصغيرة



استنبات اللؤلؤ

أَحِيطَ اللُّؤْلُؤُ عِبْرَ الْقُرُونِ بِالْعَدِيدِ مِنَ الْأَسَاطِيرِ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي أَصْلِهِ وَكَيْفِيَّةِ تَكُونِهِ إِلَى حَدِّ دَعَا بَعْضُ الْأَقْدَمِينَ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ اللَّالِيَّ لَيْسَتْ إِلَّا دُمُوعٌ كَائِنَاتٍ عُلوِيَّةٌ . وَيَقُولُ شَاعِرُنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

لَمَّا نَفِثَ الْأَوَّلِيُّ حَمْرَهُ
أَفْثَتِ عَلَى الْعَنَابِ بِالْمَرْوِ

وَأَنَّ كَانَ ذَلِكَ فِي وَصْفِ مَخْلُوقٍ دُنْيَوِيٍّ جَمِيلٍ .

« كوكيشي ميكيموتو » أول من نجح في استنبات اللؤلؤ ويلقب « بامبراطور اللؤلؤ » .

العلم ، السلاح الوحيد للنجاح . وقد علم من استاذ جامعي خبير بالآلياء أن اللؤلؤ يتكون داخل المحارة اثر دخول جسم مهيح صلب كحبة رمل صغيرة الى الصدفة . فاذا لم تكن حبة الرمل هذه سببا في موت المحارة ، فان الافرازات تبدأ عملها بتغليف هذا الجسم الغريب .. فتتكون اللؤلؤ . ونتيجة لذلك أخذ « ميكيموتو » يفكر : لماذا لا نزرع الآلياء اذن في المحارات ، بوضع الأجسام الصلبة المهيجة فيها ، كما نزرع البذور في الأرض ؟

الأيام وبدأ « ميكيموتو » وزوجته بأجراء سلسلة من التجارب العديدة بادخال حبات الرمل الى المحارات باليد ، وهي عملية مضنية ، الا أن كل تلك التجارب باءت بالفشل ، ومع هذا لم يتطرق اليأس الى نفسه . وقد عانى كثيرا من الكوارث الطبيعية التي كانت تعوق سير تلك التجارب وأهمها حركة المد والجزر ، وما ينتج عنها من ضرر بالأصداف التي كان يجري تجاربه عليها . كما أنه عانى كثيرا من السخريّة اللاذعة الموجهة اليه من جيرانه وأقرب الناس اليه واتهامهم له بالهوس والجنون .

المسماة بالآلياء . ولا شك ، أن أولئك الفواصين يتميزون عن غيرهم من الناس بالجلد والصبر على احتمال المشاق ومواجهة الأهوال والأخطار المحيطة بمهمتهم .. وفي كثير من الأحيان كانوا يعودون الى بيوتهم صفر الأيدي ليعود بريق الآلياء القابع في قيعان البحر يجذبهم اليه مرات ومرات .

من أولئك الناس الذين بهرهم بريق الآلياء أحد أبناء بائع متجول عاش في فقر مدقع .. ذلك هو « ميكيموتو » ، الذي أخذ بسمعة غواصي اللؤلؤ في الخليج العربي والمحيط الهندي ، وبدأ حلم الاثراء من هذه الكنوز القابعة في قيعان البحار يدغدغ أفكاره ويرادو مخيلته ، ولكنه لم يرض بأن يعرض نفسه للمهالك شأن أولئك الفواصين الذين طالما سمع عنهم .. انه يريد الشهد دون التعرض لابر النحل . لذلك بدأ صاحبنا يشحذ فكره الى أن تفتق خياله عن عملية استنبات اللؤلؤ .

هكذا بدأت قصة كفاح هذا الرجل مع اللؤلؤ ، فكونه نشأ في عائلة فقيرة مكونة من تسعة أفراد كان هو أكبرهم ، لم يقعه عن طلب

المعروف عن اللؤلؤ أنه نادر وثمين ولا يستطيع شراؤه الا الأثرياء . فكيف يتسنى ، والحالة هذه ، لمن لا تسعفهم أحوالهم المادية شراء تلك الآلياء الثمينة ؟ يجيبنا عن هذا التساؤل العجوز الياباني « كوكيشي ميكيموتو » الملقب بامبراطور اللؤلؤ ، فقد استطاع هذا الرجل أن يخرج بعد جهد جهيد بطريقة لاستنبات اللؤلؤ ، وبهذا أمكن الحصول على كميات كبيرة منه جعلته في متناول كل يد . من جزر اللؤلؤ المشهورة في اليابان جزيرة اللؤلؤ « Pearl Island » التي أصبحت مركزا مهما لصناعة استنبات اللؤلؤ . بالإضافة الى كونها مركزا سياحيا ممتازا لما حباها الله به من مناظر خلابة . ويوم هذه الجزيرة ما لا يقل عن ستة ملايين سائح سنويا لمشاهدة متحف اللؤلؤ فيها ، وهو متحف فريد من نوعه في العالم ، اذ يستطيع المرء فيه أن يلم بكل ما يتعلق بطريقة استنبات اللؤلؤ . وهنا لا يسع المرء الا أن يذكر أولئك الفواصين الذين كانوا يجازفون بحياتهم ، ويقضون الأشهر الطويلة في عباب البحر أملا في الحصول على تلك الكريبات ذات البريق الأخاذ

لكنه لم يأبه لكل ذلك بل راح يضاعف جهوده الى أن استنفدت تلك التجارب كل ما كان قد جمعه من مال في مطلع حياته .

وذات يوم من أيام يوليو عام ١٨٩٣ فتحت زوجة « ميكيموتو » إحدى المحارات كعادتها ، وإذا بها ترى لؤلؤة ينبعث منها وميض غريب .. تلك اللؤلؤة كانت أولى بشائر النجاح . وهكذا وبعد سنوات من العمل المضني تكلفت تجارب « ميكيموتو » بالنجاح . ومع أن تلك اللؤلؤة لم تكن كروية الشكل ، الا أنها أثبتت بوجه قاطع انه بالامكان استنبات اللؤلؤ .

لم تكن تلك النتيجة التي حصل عليها « ميكيموتو » الا بداية طريق محفوف بالمشاق والمتاعب في سبيل تحسين الآلية المستنبتة شكلا ولونا . وبعد أربع سنوات من العمل الدائب توصل الى انتاج لآلئ كروية متناسقة .

وبهذا وضع « ميكيموتو » حجر الأساس لصناعة اللؤلؤ المستنبت في العالم .. هذه الصناعة التي أخذت تذر أرباحا طائلة على أصحابها . وسرعان ما انتشرت محلات بيع هذه الآلئ في جميع أنحاء العالم ، ولقيت رواجاً كبيراً في الأسواق العالمية .

ان زيارة واحدة لاحدى مزارع استنبات اللؤلؤ تعطينا فكرة جلية عن المراحل التي تمر بها عملية الاستنبات : وأولى هذه المراحل هي عملية جمع المحار في مناطق معينة من قيعان البحار يقوم بها غواصون محترفون ، وذلك بعد أن تكون هذه المحار قد بلغت من العمر ثلاث سنوات . وفور جمع المحار تبدأ عملية التلقيح ، وهي عملية دقيقة تتطلب براعة فائقة ، اذ تحقن حبيبة دقيقة من مادة مستخرجة من نوع الأصداف الصغيرة في غشاء المحارة الحية لتكون نواة لؤلؤة المستقبل . وفي غضون بضع سنوات ، تقوم المحارة بافراز مواد صدفية تحيط بالحبيبة على شكل طبقات يعلو بعضها بعضاً الى أن تولد لؤلؤة على شكل كرة متناسقة صقيلة لماعة .

وبعد التلقيح ، يوضع المحار في أقفاص مشبكة تدلى من أرمات عائمة مصنوعة من الخيزران حتى ترسو في مياه البحر العميقة . وترفع هذه الأقفاص بضع مرات في السنة لتنظيفها مما يكون قد علق بها من المواد العضوية والأعشاب البحرية الضارة وبعض الطفيليات التي تعرقل نمو المحار مع العناية به طبيباً وعلاجاً بمختلف المواد الضرورية كالفيتامينات للمحافظة على سلامته ، كما يفحص المحار بعناية فائقة من وقت الى آخر . ونتيجة لهذه

العناية الزائدة به فإن نسبة ما يعيش منه هي ٩٠ في المائة ، وهي نسبة عالية جداً اذا ما قورنت بنسبة ما يعيش من المحار بالوسائل الطبيعية .

لأن جزءاً من عملية التنظيف يتم تحت الماء فإن هذه العملية تتطلب مهارة فائقة من قبل الغواصين المضطلعين بها .. فالأصداف تجب وقايتها من المد وخاصة في أيام الشتاء الباردة ، هذا بالإضافة الى عملية تنظيف الأصداف وإزالة الأعشاب العالقة بها بضع مرات في السنة .

وعندما يحين موسم الحصاد ، ترفع الأقفاص الى سطح قارب معد لهذا الغرض ، وتعرض الأصداف الى حرارة الشمس العالية ، فتعمل على تفكيكها وبالتالي على تسهيل عملية فتحها ، وهي عملية شاقة تقوم بها فتيات « الاما - AMA » بمهارة فائقة حيث تأخذ الفتاة كل صدفة على

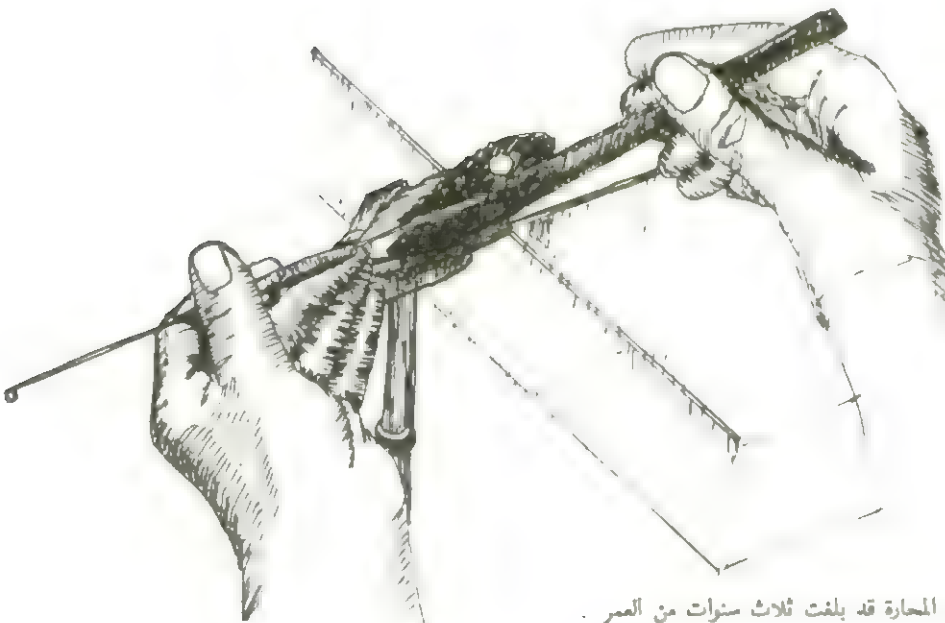
تخرج اللؤلؤة المستنبتة من المحار بعد سنوات طويلة من الكد والجهد .



مجموعة من حبات اللؤلؤ ذات الأحجام المختلفة .



تماذج من العقود والأساور والحلي المصنوعة من اللؤلؤ التي تزدان بها المتاحر في المدن الواقعة على شواطئ الخليج العربي .



حدة وتثبتها على جسم صلب وبسرعة فائقة تدخل سكيناً حاد الطرف في الشق الذي أحدثته حرارة الشمس الى أن يصل طرف السكين الى الجسم الرخو من المحارة المحيط باللؤلؤة ، عندها تنكش المحارة وتزاح الى جانب من الصدفة ، وبحركة بارعة تفرز الفتاة طرف السكين في المحارة وتشققها فتخرج منها تلك اللؤلؤة الثمينة .

بعد هذه العملية تقوم مجموعة أخرى من الفتيات بمعالجة الأصناف السابقة ، والبحث عما يكون قد التصق في حناياها ، وغالباً ما تعثر الفتيات على لآلئ صغيرة غير مكتملة الشكل تستعمل في أعمال الزخرفة والترصيع . وكذلك تستعمل تلك اللآلئ في صنع العقود الرخيصة من النوع الذي يرى في كثير من المحلات التجارية ، وكذلك تطحن تلك اللآلئ لتصار الى مسحوق تدخل في تركيب أدوية وعقاقير يستعملها الصينيون .

بعد ذلك تأتي عملية تصنيف اللآلئ المستنبئة من حيث الحجم واللون والشكل ودرجة اللعان ثم عملية ثقبها ونظمها في خيوط حريرية . بقي علينا أن نعرف الفرق الوحيد بين اللؤلؤ الطبيعي واللؤلؤ المستنبت . فالأول يتكون بفعل الطبيعة في حين يتكون الثاني نتيجة لعوامل الاستنبات المذكورة . أما من حيث المظهر والمثانة واللون فلا يكاد يكون بينهما فرق يذكر ، حتى انه يصعب التمييز بينهما ، الا ان خبراء اللؤلؤ باستطاعتهم التمييز بينهما اما باستخدام أشعة اكس أو بوسائل علمية أخرى .

وتستخدم صناعة استنبات اللؤلؤ أعداداً كبيرة من الفتيات اللواتي تدرين على هذا العمل الشاق سنين طويلة . وهن يجدن متعة ما بعدها متعة في هذا العمل الدقيق الذي يستلزم عناية فائقة ودقة بالغة

سليمان الحكيم

عملية تلقح المحار عملية دقيقة وهي تتم بعد أن تكون المحارة قد بلغت ثلاث سنوات من العمر .

عن وحي البحر



للشاعر مقبل العيسى

كم فيه من عظمة ، ومُتعةٍ ناظرٍ
وقريبه .. وشي الجمال الساحر
في الماء .. وانشق الثرى بجواهر
يسبي النهى .. ويثير وحي الخاطر
في توميه ، أو سابح كالطائر
ضدّ الفناء .. بتاجد وظافر
من آخر .. ويغير نحو الآخر

للشر .. لا وجه الضياء السافر
من راحته .. ويعتني بالظافر
عمياء .. لا تسمو بوحى ضمائر
يوماً .. وإن ظفروا بنصر عابور
في حظه .. وسهام دهر غادر
والشر لا يجني صفاء الخاطر
صفو سيقبه عذاب مشاعر
وهو الشقي بظلمه في الأخير
ينهد من زخم العبير الوافر
العيش لا يصفو بطبع جابر

البحر والأحياء .. في أغواره
لقى الطيوف يموج في أبعاده
فكان أزهار الربيع تفتحت
وغرائب الأحياء فيه .. منظر
من زاحف فوق الثرى أو سادر
كل يتوق إلى الحياة ويحتمي
هذا بهر بجيلة خوف الردى

فالبهر فيه من الحياة ملامح
يفني الضعيف بغير ذنب قد جنى
هو عالم .. يحيا بحكم غريزة
أما الأنام .. فأى علم إن قسوا
حسب القوي من الأنام قلب
فالدهر لا يبقى على حال له
صفو المشي لغيره والمعتدي
عجبي من الإنسان يظلم غيره
فالمستبد بكل عطر في يد
طبع الحياة بأن نعيش .. وإنما

تَرْجُمَةُ أَسْلَامِيَّةٍ شَرْقِيَّةٍ وَأَنْدَلُسِيَّةٍ

تأليف : الأستاذ محمد عبد الله عنان
عرض وتعليق : الأستاذ عبد الله بن خميس

ولم يكن هذا الكتاب وليد هذا العصر ، بل لقد خرجت طبعته الأولى حوالي عام ١٣٦٦ هـ . أي منذ خمس وعشرين سنة . فلقيت آنذاك ما لقيت من القبول والاحتفاء . وكانت تصم تلك الطبعة ثمانى عشرة ترجمة نظمها المؤلف في كتابين . الأول يضم تراجم شخصيات المشرق الاسلامي ، والثاني يضم تراجم شخصيات المغرب والأندلس . وقد اتبع الترتيب التاريخي في تبويب الكتابين .

أما في الطبعة الثانية التي بين أيدينا الآن فيذكر المؤلف انه قد تفرغ لها بعد أن فرع من تاريخ الأندلس . وقام بمراجعتها وإضافة نخبة جديدة من التراجم إليها ، وقسمها الى ثلاثة كتب . الأول يضم تراجم من الشرق الاسلامي . والثاني يضم تراجم من المغرب والأندلس . والثالث يضم أعلام التفكير في الغرب الاسلامي .

وصدر الكتاب بمقدمتين للطبعة الأولى والثانية بين فيهما منهجه وأشار الى مكانة الترجمة في آداب الأمم والحضارات عامة وما يحمله التراث العربي في هذا المجال من كنوز هي ما هي في بناء تراثنا .

الكتاب الأول تراجم شرقية لنخبة تشمل هرون الرشيد . وست (المملوك الفاطمية ، والحسن الصباح ، والمملوك الناصر صلاح الدين ، وبهاء الدين قراقوش ، والمملكة شجرة الدر ، وتيمورلنك .

أما الكتاب الثاني فيضم تراجم أندلسية لأبطال في الحرب والسياسة ، وهم : موسى بن نصير ، صقر قريش ، أسد بن الفرات فاتح صقلية ،

هذا الكتاب علم من أعلام العربية ، ورائد من روادها ، حذى الثقافة الاسلامية وضرب فيها بسهم وافر ، مما جعل كتابته في هذا المجال تتسم بالعق والشمول وتصدر عن ادراك متمكن وملكة راسخة تحمل القارئ على الثقة وتبعته على الاستزادة .. وهو الى جانب ذلك ، قمة من قمم البيان عرفه قراء العربية جزل الأسلوب ، حلو الديباجة ، سليم السبك ، ذا جاذبية خاصة وطابع مشوق أخاذ .. كان في الطليعة من كتاب « الرسالة » أيام سموها وأخذها مكان الصدارة بين صحف الضاد ، وكنا نلتهم ما يكتب بنهم وشوق ، وكان رغم طول نفسه واشباعه لموضوعه ، يحمل القارئ على متابعتها ويشده الى استيعاب ما يكتب بدون أن يداخله الملل أو يوانته الكسل .

ولم نزل نتابع آثاره ونسقط نفحاته ، ومنها موسوعته الكبيرة « تاريخ الأندلس » في سبعة مجلدات ، اقتضاه انجازها خمسة وعشرين عاما بحثا وتحقيقا ومتابعة .. وكان آخر ما وقع في أيدينا له الطبعة الثانية من كتابه هذا ، وهو عبارة عن فصول في تراجم أعلام التاريخ الاسلامي ، لم يتفقد فيها بعصر دون عصر ، ولا بطائفة دون أخرى ، ولا بقطر دون آخر . انتقر هذه التراجم انتقارا ، وتخيرها ذات زين في سمع العالم وشهرة طبقت الخافقين ، فأضفى على جوانبها الخصبة من أسلوبه الشيق جمالا وجاذبية .. فجاء هذا الكتاب حديقة دانية القطوف ممتعة الروى متناسقة الجمال .

يحيى الغزال شاعر وفيلسوف وسياسي ، وعبد الرحمن الناصر ، وصبح أم المؤيد ، والمعتمد بن عباد ، ويوسف بن تاشفين ، والمهدي بن تومرت ، ومحمد بن الأحمر مؤسس مملكة غرناطة .

ويضم الكتاب الثالث تراجم أندلسية أيضا لكنها من أعلام التفكير في الغرب الاسلامي ، وهم : عباس بن فرناس ، وابن حيان مؤرخ الأندلس ، وأبو بكر بن عمار ، وأبو بكر الطرطوشي ، وابن بسم الشنبري ، والشريف الإدريسي ، وأبو بكر بن طفيل ، والرحالة ابن جبير ، وأبو العباس بن الرومية ، وابن الآبار القضاعي ، والحسن بن الوزان الفاسي الغرناطي ، والمقري مؤرخ الأندلس .

تسع وعشرون ترجمة لشخصيات بارزة في الفكر والسياسة والحرب والاجتماع .. ينتقل القارئ بينها في روض أنف ، ويجد الى جانب متعة النفس ورياضة الحس حصيلة من الثقافة وأسلوبا ممتعا في التحقيق والبحث ، لا نستطيع أن نعطي عنه كله المامة موجزة ، ولكن نكتفي باستعراض ثلاث تراجم في أول الكتاب ووسطه وآخره تلقي ضوءا على نهج المؤلف وتشف عن مضمون الكتاب .

• • •

بدأ كتابه هذا بترجمة لشخصية هرون الرشيد من سنة ١٤٨ - ١٩٣ هـ ، وذكر أن الدولة العباسية بلغت ذروة المجد والعظمة في عهده وأرجع ذلك الى ان شخصية الرشيد وما كان يتمتع به من خلال حميدة كالفروسية والبراعة في شئون الحرب والسياسة ، وجمعه بين التقى والصلاح من جهة ، والبذخ والتبذل من جهة أخرى .. والى جانب هذا وذاك انه كان يتمتع بخلال نادرة رشحته لأن يكون أبرز خلفاء الاسلام وأمرأ العصور الوسطى في عصره .

الخلافة وهو في الثانية والعشرين من عمره بعد أن مات أخوه « موسى الهادي » عقب عام ونيف من توليه الخلافة من بعد وفاة والدهما المهدي عام ١٦٩ هـ .

وأورد ان الرشيد كان يصلي يوميا ٢٠٠ ركعة تنفلا ويحج عاما ويغزو آخر ، وكان يتصدق من ماله يوميا بألف درهم . وإذا سار الى الحج اصطحب معه رهطا من العلماء .

واتصلت حروبه اتصالا وثيقا بالروم ، حيث بدأها منذ أن كان يافعا مع والده في حربه لبيزنطة وكانت حروبه تجري عادة في الصيف ومن أجل ذلك سميت الصوائف ، وبلغت في عهد الرشيد أكثر من اثني عشرة غزوة ، وكثيرا ما ينقض الروم عهدهم فيوجه اليهم جيوشا جسارة لاخضاعهم .

وأفاض المؤلف في قصة البرامكة وكيف قربهم الرشيد وأولاهم الثقة العمياء ، حتى استأثروا وعلت مكانتهم . وزاحمت شهرتهم شهرة الخليفة وآل العباس . ثم وصف الأسباب التي أدت لنكبتهم .

قال : لقد قرب الرشيد البرامكة وأثرهم بالسلطة آنذاك وأطلق أيديهم في مال الدولة حتى غمروا العامة بالهبات وتقربوا من قلوبهم . ومن ثم بدأ الوشاة والشعراء في الكيد للبرامكة وأوحوا الى الرشيد انهم يغطون خلافته بغشاة من الازدواجية وتنازع السلطة .

ويقرر المؤلف ما أورده بعض كتب التاريخ عن قصة علاقة العباسية أخت الرشيد مع الوزير جعفر البرمكي ويثبت ان الرشيد نوى أن يزوج

العباسية بجعفر زواجا صوريا لكي يمكن أن يجالسها عند الرشيد ، ولكن ذلك لم يتم فحملت العباسة من جعفر سفاحا . فعملت زبيدة زوج الرشيد بذلك ، وكانت تبغض العباسة لفرط جمالها ونفوذها لدى أخيها ، فوشت بذلك لدى الرشيد فقتلها . وقرر اهلاك البرامكة بعد ذلك .

انكار ابن خلدون لهذه القصة وازدراؤه نسبة مثل هذه القصة لهذا البيت الكريم الذي لا يمكن أن ينحدر الى هذا المستوى .. الا أن المؤلف قال بعد ذلك : وهو بلا ريب منطق ظاهر الضعف وتدلil لا يتفق في نظرنا مع دقة الفيلسوف وعقليته المستنيرة . ويورد المؤلف سببا آخر لنكبة البرامكة ، وهو ان الرشيد حينما ظفر يحيى بن عبد الله بن الحسن الزعيم العلوي على أثر انتهاء ثورته في بلاد الديلم عهد به الى جعفر البرمكي ليسهر على اعتقاله ، فأطلق جعفر سراحه خفية .. فتوجس الرشيد من هذا التصرف خيفة .. وكان بنو العباس يرون في قيام الدعوة الشيعية خطرا يهدد سلطانهم ، وكان البرامكة أول أمرهم من أقطاب الشيعة .. ومن ثم قتل بهم الرشيد ..

وأشار المؤلف الى روايات أخرى وخرج بخلاصة لذلك ، وهي ان الدوافع التي أدت الى هذه النكبة هي استئثار البرامكة بالسلطة وتضاؤل سلطان الرشيد أمام سلطانهم ونفوذهم .

وصور المؤلف هذه النكبة تصويرا محزنا وأشار الى أن الرشيد أبدى ندمه وتأثره أخيرا مما وقع .

وقال المؤلف عن البرامكة : ان عهدهم أزهى وأبهى عصور الدولة العباسية بلا مرأ .. وأورد قول « ابن خلدون » ان دولتهم من أعظم الدول ، وهم كانوا نكتة محاسن الملة وعنوان دولتها .. الخ .

وأشار المؤلف الى علاقات سياسية طيبة نشأت بين « الرشيد » و « شارلمان » ، امبراطور الفرنج ، والى هدايا متبادلة بينهما ، وهون المؤلف من شأن ذلك ، وانها لا تعدو المجاملات الملوكية العادية .. بينما يراها البعض ، لا سيما في ذلك الزمان ، ظاهرة ذات أثر في تاريخ الرشيد .. ثم أفاض المؤلف في ذكر ما تحمله شخصية الرشيد من المتناقضات : صلاة وجهاد وصدقات وغزو واجلال للعلماء وغيره .. يقابل ذلك ترف وتبذل .. ثم صرامة وحزم ويقظة .

هذا المتناقضات لا يكاد المؤرخ المنصف يخرج منها باتجاه ثابت يستطيع أن يصف به عصر الرشيد وشخصيته وصفا حقيقيا .

• • •

نتقل من أول شخصية في هذا الكتاب الى شخصية أخرى في وسطه ، ذلك هو « أسد بن الفرات » فاتح صقلية . أفاض المؤلف في ذكر جزر البحر الأبيض المتوسط الشمالي والغربي منها ، وكيف انها كانت في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين هدفا للغزاة ومسرحا للقراصنة ومطمعا لدولة بيزنطية من الشمال وأملا من آمال المسلمين في الجنوب . وكانت الفتن والحروب في هذه المناطق لا تخبو جذوتها ولا يسكن أولواها . وكانت جزيرة صقلية تحت سيادة الدولة البيزنطية وكذلك بعض ما حولها من الجزر بعضها لها السيادة المطلقة عليها وبعضها لها السيادة الاسمية . وكانت دولة الأغالة العربية المسلمة تصاقبها في شمال افريقيا وتذرع أساطيلها البحرية ما والاها من شواطئ المتوسط وجزره الجنوبية ، وربما توغلت في غزوات منظمة للجزر البيزنطية وغيرها .

وبعض لنا المؤلف قصة فتح جزيرة صقلية على يد القائد الفقيه

«أسد بن الفرات» فيما ملخصه : هناك سيد من أشرف صقلية يدعى «يوفوس» ويسميه العرب «فيمى» هام بحب راهبة حسنة واحتفظها من دبرها ، قضى الامبراطور ، وهو يومئذ ميخائيل الثاني ، بجذع أنفه عقابا له على جرمه .. ففر من وجه الامبراطور وقام بثورة ، ولكنه لم يستطع الثبوت أمام القوى التي تظافرت عليه ، فهرب الى افريقية ، واستغاث بأمير «تونس» ، زيادة الله بن الأغلب ، وحسن له فتح صقلية وهون من أمرها ووصف له غناها .. ومن ثم سير أمير تونس أسطولا بقيادة أسد بن الفرات لفتحها .. فأمن في القتال وواصل في الاحتلال ، حتى كاد أن يحتل كامل الجزيرة . لولا ان امدادات البيزنطيين تكاثرت عليه وأصيب جنده بوباء قل من حدهم وخضد من شوكتهم ، ولم يزل هذا الفقيه القائد يواصل الجهاد حتى توفي هناك ودفن بهذه الجزيرة ..

أما من هو أسد بن الفرات ، فنقول الرواية الصحيحة عنه : انه أسد ابن الفرات بن سنان ، من أهل نيسابور ، وولد بخران ، ويكنى أبا عبد الله ، وقدم أبوه مع محمد بن الأشعث الخزاعي في عسكره حين ولاه أبو جعفر المنصور افريقية سنة أربع وأربعين ومائة ، وأسد اذ ذاك ابن سنتين ، وقد كان مولده بخران سنة ١٤٢هـ ، ووفاته سنة ٢١٣هـ .

نشأ ، كما يقول المؤلف ، في مهاد العلم لا مهاد الجندية ، وتخصص في دراسة الفقه ورحل في طلب العلم الى المشرق ، وأخذ عن الامام «مالك بن أنس» وعن أكابر علماء مصر وبغداد ، وعاد الى افريقية ، وصنف كتاب «الأسدية» في الفقه المالكي ، وولّي قضاء القيروان في عهد ابراهيم بن الأغلب مؤسس الأسرة ، ثم عين شيخا للفتيا ، فقائدا لفتح صقلية ..

وفي النهاية يقول المؤلف : .. وليس من النادر أن نرى في الفتوحات الاسلامية الأولى ففيها أو محدثا أو عالما يتولى قيادة البعث والحملات .. وقد كان من تقاليد الفتوحات والحروب الاسلامية دائما أن يحتشد الفقهاء والعلماء المقربون من السلطان في مؤخرة الجيش ، ولكن هذا المنظر الرائع الذي يقدمه لنا هذا الفقيه والقاضي الشيخ والقائد الجري وأمير البحر المغامر ، برياسة الأساطيل الغازية وقيادتها الى الفتح والغفر ، والذي يملأ النفس روعة واعجابا ، هو حقا من المناظر الفريدة في التاريخ الاسلامي ..

هذا ما يقوله المؤلف عن هذه الظاهرة الاسلامية ، وغاب عنه ان صحابة رسول الله وخلفاءه والصلح الأول من رجال الاسلام كانوا هم الفقهاء والعلماء ورجال الفتيا ، وكانوا هم القادة وهم رجال الحروب وفرسانها ، ومن يوم فصل الدين عن السياسة والحرب يوم داخل الوهن المسلمين وذهبت ريحهم .

...

ومن أسد بن الفرات أحد مترجمي هذا الكتاب تنتقل الى آخر ترجمة فيه ، وهي ترجمة «المقري» ، مؤرخ الأندلس المولود عام ٩٨٦هـ والمتوفى في عام ١٠٤١هـ .. هذه الشخصية برزت مواهبها وانتشر علمها وذاع صيتها في مصر حينما انتقل المقري من المغرب الى الأزهر في القاهرة وتصدر احدى حلقة الكبيرة ، وأفاد خلقا كثيرا بعلمه ومواهبه ، وكتب بمصر معظم كتبه ، وفي مقدمتها موسوعته «نفع الطيب» ، أعظم كتاب ألفه «المقري» واشتهر به وأصبح عمدة المؤرخين للأندلس .

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد ، الشهير بالمقري ، نسبة الى مقرة ، موطن أسرته القديم وهي بلدة من أعمال قسطنطينية والها ينتسب عدة من أكابر علماء المغرب . ولد بمدينة تلمسان ونشأ بها . وتاريخ ولادته مختلف فيه ، والأرجح هو ما أسلفنا . نشأ المقري بتلمسان وتلقى بها دراسته الأولى ، ودرس الأدب والحديث والفقه المالكي ، ومن أساتذته عمه سعيد المقري مفتي تلمسان . وأكثر النقلة الى فاس عاصمة المغرب الدينية والعلمية ، واتصل بالأشرف السعديين أمراء مراکش ، وولي الأمانة والخطابة لجامع القريدين الشهير بفاس ، ثم ولي الافناء ثم زحمته ظروف قاسية جعلته ينتقل الى المشرق عام (١٠٢٧هـ) واستقر بالقاهرة وتزوج بها وحج خمس مرات وجاور أثناء الحج بمكة وألقى بها درسا وأملى الحديث بالمدينة وزار بيت المقدس وزار دمشق والتقى بأدبائها وعلمائها وأعيانها ، وألقى بها درسا بالمسجد الأموي وأفاض في الحديث عن المغرب ومعالمها وأفاد رجلاها كابن الخطيب وأمثاله ، ثم عاد الى مصر وعاش بها عيشا غير مرضي يقاسي ألم الغربة وعقارب الحساد . وهنا يدل بعزة نفسه وترفعه عن الدنيا ، فيقول :

وما أنا عن تحصيل دنيا بعاجز ولكن أرى تحصيلها بالدين
وان طاعوني رقة الحال مرة أبت فعلها أخلاق نفس أبية
ولكنه في هذه الظروف القاسية وضع موسوعته العظمى «نفع الطيب» ..

أفاض مؤلفنا في الحديث عن نفع الطيب للمقري ، وذكر انه قسمه الى قسمين كبيرين خصص القسم الأول للتعريف بالأندلس وتاريخها وآدابها ، والثاني للتعريف بابن الخطيب الذي نشأت فكرة تأليف الكتاب بالحديث عنه .. وأفاض في الحديث عن كلا القسمين بما يبرز قيمة موسوعة المقري ويشوق اليه . ويتصل بمجهود المقري عن الأندلس كتابه «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض» ، وهو سفر كبير أسهب فيه بذكره ترجمة عياض على نحو ما كتب عن ابن الخطيب ، واستعرض فيه المأساة الكبرى في سقوط غرناطة في أيدي النصارى ، وما قيل في ذلك من الشعر والرسائل الباكية ..

وله مؤلفات أخرى غير كتابيه هذين ، وهي : «اضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة» ، و«حسن الثنى في الفغو عن جنى» ، و«قطف المهتصر في أخبار المختصر» ، و«عرف النش في أخبار دمشق» ، وغير ذلك من المؤلفات .

وصف المقري من ترجم له ، وهو المحبي ، فقال : .. حافظ المغرب لم ير نظيره في جودة القريحة وصفاء الذهن وقوة البديهة ، وكان غاية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث ومعجزا باهرا في الآداب والمحاضرات .. يكتب بأسلوب قوي وبيان جذاب يشهدان له بغزارة البلاغة في عصر كان الأدب العربي يجوز فيه مرحلة انحطاط قوي .

هذه نظرة عابرة عن كتاب «تراجم اسلامية» .. للأستاذ محمد عبد الله عنان أشرنا الى نهج المؤلف في المامة موجزة عن ثلاث شخصيات من أول الكتاب ووسطه وآخره ، مما مجموعه تسع وعشرون اختارها المؤلف من بين عشرات الألوف من التراجم ، فعرضها عرضا شيقا يشد القارئ الى استيعابها ويجذبه الى اعادة قراءتها في شوق ونهم .. وإلى جانب ان الكتاب صورة حية تعطي القارئ طاقة ثقافية متميزة عن بعض رجال الاسلام والعرب وما اعطوه من مواهب حرية وسياسية وعلمية وأدبية ، فكذلك هو مدرسة لنهج خاص في التأليف وأسلوب بدیع في الترجمة ■

أخبار الكنف

من كبار الشعراء المعاصرين المرموقين الشاعر محمد سليمان الأحمد المكنى «بدوي الجبل» الذي سارت بشعره ركبان الأدب في دنيا الضاد سنوات طويلة ، وما زال يغني ديوان العرب بمطولات من شعره الجيد ومعانيه المتفردة .

وقد رغب الأستاذ مدحت عكاش في تقديم مختارات من شعر بدوي الجبل في سلسلة «شعراؤنا المعاصرون» التي تصدر عن دار مجلة الثقافة في دمشق ، فانتقى الشاعر مجموعة فاخرة من فرائده صدرها بمقدمة في التعريف بالشاعر وعصره ومذاهبه وخصائصه .

كذلك أصدر الأستاذ أحمد عبد المعطي حجازي كتاباً عنوانه «إبراهيم ناجي» فيه مختارات للشاعر مع مقدمة للكاتب . ونشرت الكتاب دار الآداب . ومن الدواوين الشعرية الجديدة التي صدرت مؤخراً هذه الطائفة «أغاني الحارس المتعب» للأستاذ بلند الحيدري ، ونشرته دار الآداب و «ملاصيح العصر المتكبر» للشاعر سليمان الجبوري ونشرته دار الكلمة ببغداد و «النار والأقدام الجائعة» للشاعر الدكتور ميشال سليمان ، ونشرته دار لسان العرب ببيروت ، و «زورق الرحيل» لمحمد زين جابر ، و «فصول» لسالم الخباز .

صدر المجلد الثاني من كتاب «تاريخ الأدب العربي» للدكتور طه حسين وقد تناول فيه العصر العباسي الأول . والكتاب من منشورات دار العلم للملايين .

ومن الدراسات الأدبية التي ظهرت أخيراً «حب عمر بن أبي ربيعة وشعره» للدكتور جبرائيل جبور ونشرته دار العلم للملايين و «نظرات أدبية» وهو جزءان للدكتور محمد رجب البيومي ونشرته مطبعة زهران بالقاهرة ، و «أحاديث مع توفيق الحكيم» لطائفة من الأساتذة ونشرتها دار الكتاب الجديد ، و «مختارات من مقامات الحريري» رسمها وكتب عباراتها الخطاط شفيق عبود ونشرتها دار النهار ، و «حاشية على النقد» للدكتور أبو الهدى الأسعد وقد نشرته الشركة اللبنانية ، و «المطالعات في مختلف المؤلفات» وهو ثلاثة أجزاء للأستاذ محمد علي الموسوي الحمامي ، وقد نشرته مطبعة النعمان بالنجف . بصدر الجزء السابع من «التفسير الكاشف» تم هذا التفسير الجديد الذي وضعه الشيخ محمد جواد مغنية ونشرته دار العلم للملايين . ويوالي الدكتور محمد عبد المنعم الجمال نشر أجزاء «التفسير للقرآن المجيد» حتى بلغ ما صدر منه حتى الآن سبعة عشر جزءاً ، وقد نشرتها جميعاً دار الكتاب الجديد .

صدر للدكتور عمر فروخ كتاب كبير نفيس عنوانه «تاريخ العلوم عند العرب» وتولت نشره دار العلم للملايين .

الأديب الكبير ميخائيل نعيمة أخرج المجلد الثالث من «المجموعة الكاملة» لمؤلفاته التي تصطبغ بنشرها دار العلم للملايين .

صدر عن جامعة بيروت العربية كتاب «حكمة لبنان» للدكتور حسن الساعاتي بحث فيه الأمثال اللبنانية وحللها تحليلًا نفسيًا واجتماعيًا واستخلص منها الخصائص التي يتفرد بها الالفن اللبناني .

كتب متنوعة الموضوعات صدرت حديثاً منها «تنظيم النقل» للدكتور سعد الدين عشاوي وقد نشرته مكتبة عين شمس و «في أرض النيل» للدكتور عبد العزيز كامل ، وقد نشرته دار عالم الكتب و «الضمان الدولي للاستثمارات الأجنبية» للدكتور إبراهيم شعاعته وقد نشرته دار النهضة العربية و «نظريات التعليم» للدكتور أحمد زكي صالح وقد صدر عن مكتبة النهضة المصرية و «الوسيط في القانون الدستوري اللبناني» للدكتور آدمون رباط وقد نشرته دار العلم للملايين و «الآلات الموسيقية في العراق القديم» للدكتور صبحي أنور رشيد وقد نشرته المؤسسة التجارية ببيروت و «فلسفة سارتر» مع ترجمات هامة من أعماله للأستاذ عبد الفتاح النديني ونشرته مكتبة الأنجلو المصرية .

من المؤلفات الجديدة التي تبحث في أدب السير والترجم ظهرت هذه المجموعة : «أحمد بن حنبل أمام أهل السنة» للأستاذ عبد الحليم الجندي ، و «الامام الأعظم أبو حنيفة المتكلم» لباحث الأفغاني الدكتور عنايت الله ابلاغ وقد نشرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

أصدر الدكتور رؤوف عبيد كتاباً جديداً بعنوان «عروس فرعون وشوقيات جديدة من عالم الغيب» تناول فيه شعراً جديداً لأمير الشعراء شوقي ، وفيه تركيبات لأعلام الشعراء والمعاصرين تؤكد نسبة هذا الشعر إلى شوقي وقد نشرت الكتاب دار الفكر العربي .

في الأدب الروائي ظهرت الكتب التالية : «من وراء الغيم» و «ابتسامة على شفتيه» للأستاذ يوسف السباعي وقد نشرتهما مكتبة الخانجي و «الوحش في الإنسان» رواية لامييل زولا ترجمها الأستاذ محمود مسعود ونشرتها دار الكتاب الجديد و «عطر الأحباب» للأستاذ يحيى حقي وقد صدر عن دار الكتاب الجديد و «فارس مدينة القنطرة» أفاصيص

للدكتور عبد السلام العجيلي صدرت عن دار الآداب و «عودة الطيور المهاجرة» أفاصيص للأستاذ عبد الله الصائغ نشرتها مطبعة الغري بالنجف و «سوناتا في ضوء القمر» أفاصيص للأستاذ غانم الدباغ نشرتها مطبعة دار الساعة في بغداد .

«قطوف في الأدب والدين واللغة» كتاب جديد من مستطربات العلامة الكبير الأستاذ علي الجندي صدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

أصدر الدكتور إبراهيم أحمد العدوي دراسة نفيسة عن المجتمع المغربي : «مقدماته الإسلامية والعربية» وقد نشرته مكتبة الأنجلو المصرية .

من كتب الإدارة والاقتصاد والقانون صدرت الكتب الجديدة التالية : «الاتجاهات الجديدة في العلاقات العامة» للدكتور محمود الجوهري نشر مكتبة الأنجلو المصرية و «الضبط الإحصائي لجودة الانتاج» للدكتور محمد حسن صالح رضوان نشر مكتبة الأنجلو المصرية و «التأمين وإعادة التأمين في الدول النامية» للأستاذ أحمد شكري الحكيم نشر مكتبة النهضة والجزء الأول من «الوجيز في القانون الدولي» للدكتورين فؤاد عبد المنعم رياض وسامية راشد وقد صدر عن دار النهضة العربية و «التصاديات البترول» للدكتور حسين عبد الله وقد نشرته دار النهضة العربية و «لغة الاقتصاد» لجوني روبنسن وترجمة عزة عيسى ونشر مكتبة المحتسب في عمان و «القياس السيكولوجي في الصناعة» للأستاذ حلمي الميجي نشر دار المعارف بالاسكندرية و «القانون الإداري : دراسة مقارنة في تنظيم ونشاط الإدارة العامة» للدكتور طعيمة الجرف نشر مكتبة القاهرة الحديثة .

ترجم الأستاذ توفيق وهبة كتاب «تاريخ الحضارة الأوربية» لكلود دلماس ونشر دار عويدات في بيروت .

أعد الشاعر الأستاذ محمود أبو الوفا كتاباً من أدب الخواطر والأخلاقيات صاغ مادته صياغة روائية وأدار فكرته حول المجتمع المثالي المنشود . ويصدر هذا الكتاب قريباً .

ظهر للأديب ماجد الخفاجي كتاب «فصول من الفكر المعاصر» نشرته دار الطباعة المحمدية بالأزهر . تصدر قريباً دراسة واسعة عن شاعر العراق الراحل معروف الرصافي تضم ديوانه الكامل محققاً مشروحاً . وقد تعاون على إنجاز هذا العمل الأدبي الكبير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي والأستاذان مصطفى عبد اللطيف السحرتي ولقاسم الخطاط

الكوازارات وأشياء المجرات والنجوم

فلم الراسد نقولنا شاهين

تتعلق بالتداخل الراديوي قوامها هوائيان تفصل بينهما مسافة كبيرة ، يتجاوبان مع مصدر واحد . للاشارات الراديوية . وقد استعان أولئك الفلكيون في ابتكاراتهم تلك ببعض الأسس والنظريات التي قام عليها علم البصريات فيما مضى . ولما كانت الأمواج الراديوية تصل الى الهوائيين في فترتين من الزمن تختلفان اختلافا قليلا ، أصبح من المحتم على هذه الأمواج أن تتداخل مكونة نموذجا يبين بوضوح مصدر تلك الأمواج .

كان للتطور السريع الذي طرأ على صناعة المراقب الراديوية أن ساعد على ظهور الأشكال الغامضة بوضوح تام ، مما مكن القائمين بالرصد الراديوي من توجيه المراقب الضوئية الى بقع صغيرة محدودة . وفي عام ١٩٤٩ استطاع الفلكيون مشاهدة أول جسم مرئي خارج نظامنا الشمسي ، ينتمي الى مصدر راديوي معين ، ذلك هو السديم السرطاني ، وهو من بقايا انفجار نجمي في الطريق اللبنية أو مجرة الأرض . كما تمكنوا فيما بعد من رصد أول مرصد مرئي خارج المجرة ، وهو مجرة كبيرة تبعد عن الأرض مقدار ٥٠ مليون سنة ضوئية . وفي السنوات العشر التي تلت ، ومع التقدم الذي طرأ على حقلي الرصد الراديوي والضوئي ، تم للعلماء التعرف الى ١٠٠ مجرة جديدة كمصادر للبث الراديوي .

ولعل قصة الكوازارات التي أصبحت تستأثر باهتمام علماء الفلك ، قد بدأت عندما قام الفلكيون بتوجيه مراقبهم الضوئية نحو مناطق معينة في القبة الزرقاء حددتها المراقب الراديوية كمصادر لبث قوي ، فشهدوا تجمعات من نجوم خافتة لا ذكر لها في كتب الفلك . وفي عام ١٩٦٠ ، تبين من خلال عمليات رصد راديوية قامت بها فئتان في مركزين مختلفين ، أن سبلا من الاشارات القوية ، يأتي مما بدا وكأنه نجم صغير خافت . وفي السنوات القليلة التي تلت ذلك ، تمكن الفلكيون في ولاية كاليفورنيا

خاصة غربية ، حار في تفسيرها الفلكيون . وقد جاء اكتشاف هذه الأجسام التي تشبه النجوم الى حد بعيد ، دليلا ساطعا على التعاون القائم بين علمي الفلك الراديوي والفلك البصري ، وعلى الانتصارات التي حققها الفلكيون في هذا المضمار ، بفضل اكتشافهم أصواتها الراديوية وتصوير اشعاعاتها الضوئية . ويرجع الفضل في الكشف عن خواصها الغريبة الى العالم الفلكي «مارتين شميدت» الهولندي المولد ، والذي أصبح من كبار أساتذة علم الفلك في الجامعات الأمريكية .

ولعل الخطوة الرئيسية التي ساعدت على تحقيق هذا الاكتشاف ، هي تلك الاشارات الراديوية التي التقطها المهندس «كارل جانسكي» عام ١٩٣١ ، ونسبها ، اتفاقا ، الى مصادر فضائية . غير ان علماء الفلك ترددوا في اعتماد طاقة راديوية كهذه وسيلة قوية لاكتشاف جانب من معالم الكون ، مع العلم انها الاشعاع الوحيد ، ما عدا الضوء المرئي ، الذي يستطيع اختراق طبقات جو الأرض على مدى واسع من التردد . لذلك لم يطرأ أي تطور ملموس على استخدام هذه الوسيلة الجديدة ، الا بعد دراسات راديوية عميقة أجريت أثناء الحرب العالمية الثانية ، وذلك عن طريق تطوير هوائيات موجهة دقيقة ، وابتكارات تقنية الكترونية بلغت حدا كبيرا من الاتقان .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية ، بادر الفلكيون في جميع أقطار العالم ، الى صنع أطباق «شلجمية» الشكل صنعت أضلاعها من الفولاذ ، وشبكات من الهوائيات شبه متقنة .. حتى انهم فرشوا سطح واد بالأسلاك الشائكة المتشابكة التي كانوا يستعملونها كهوائيات بحثا عن مصادر راديوية . ولقد توصل هؤلاء الرواد الى مشاهدة بقع ذات أشكال غامضة ، تشبه أنوار الشوارع عندما نشاهدها من خلال الضباب . ولكي يحصلوا على صور أوضح ، عمدوا الى صنع هوائيات ضخمة ، كما انهم ابتكروا طرق تقنية جديدة

جديدة تحت الشمس .. عبارة يرددها الناس في مجرى أحاديثهم من وقت الى آخر ، لكنها لا تنطبق على ما يجري في حقول العلم الحديثة ، فقد كشفت المراقب الضوئية والراديوية النقاب عن عوالم جديدة واسعة تبدو شمسنا بالنسبة اليها كحبة رمل على شاطئ فسيح من الرمال ، فما شمسنا الا واحدة من نحو مائة ألف مليون شمس أو نجم تتألف منها مجرتنا ، وما مجرتنا الا واحدة من ملايين المجرات التي تسبح في الفضاء اللانهائي .

وعندما بدأ الفلكيون يستطلعون حركة المجرات الخارجية ، تبين لهم ، في بادئ الأمر ، أن منها ما يبتعد عنا بسرعة آلاف الكيلومترات في الثانية . ومع التقدم الذي حققه هؤلاء الفلكيون في رصد مجرات بعيدة ، اكتشفوا ان سرعة بعض هذه المجرات تصل أحيانا الى ١٠٠ ألف كيلومتر في الثانية ، أي ثلث سرعة الضوء .

فهذه الدراسات وما تمخض عنها من نتائج ، جعلت الفلكيين يسلمون بمبدأ الكون الأخذ بالتعدد ، وبذلك أخذت المجرات الكونية ، وفقا لهذا المبدأ ، في الابتعاد عنا وعن بعضها البعض بسرعة مذهلة . وبعد ذلك جاء علم الفلك الراديوي ، ليكشف في أعماق الكون ، أجساما ذات خصائص وصفات غريبة تعرف اليوم بالكوازارات ، أو أشباه النجوم . ولا يزال العلماء في حيرة من أمرهم تجاه معرفة ماهيتها . فهل يحق لنا بعد هذا أن نردد عبارة «لا جديد تحت الشمس» ؟

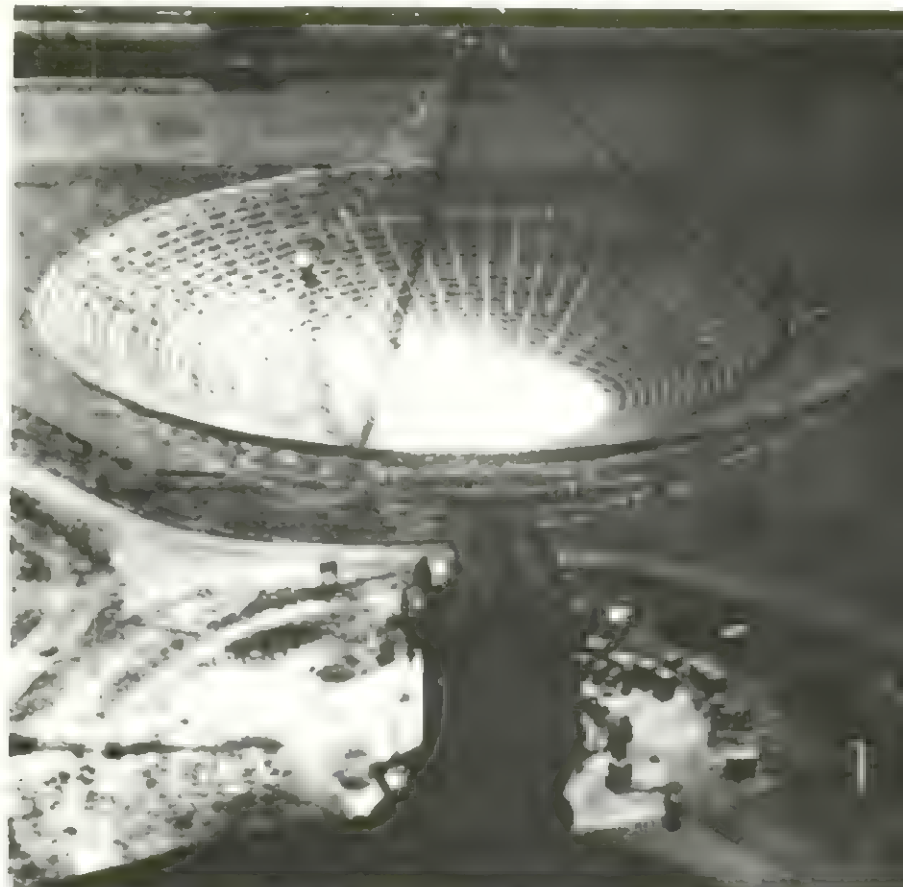
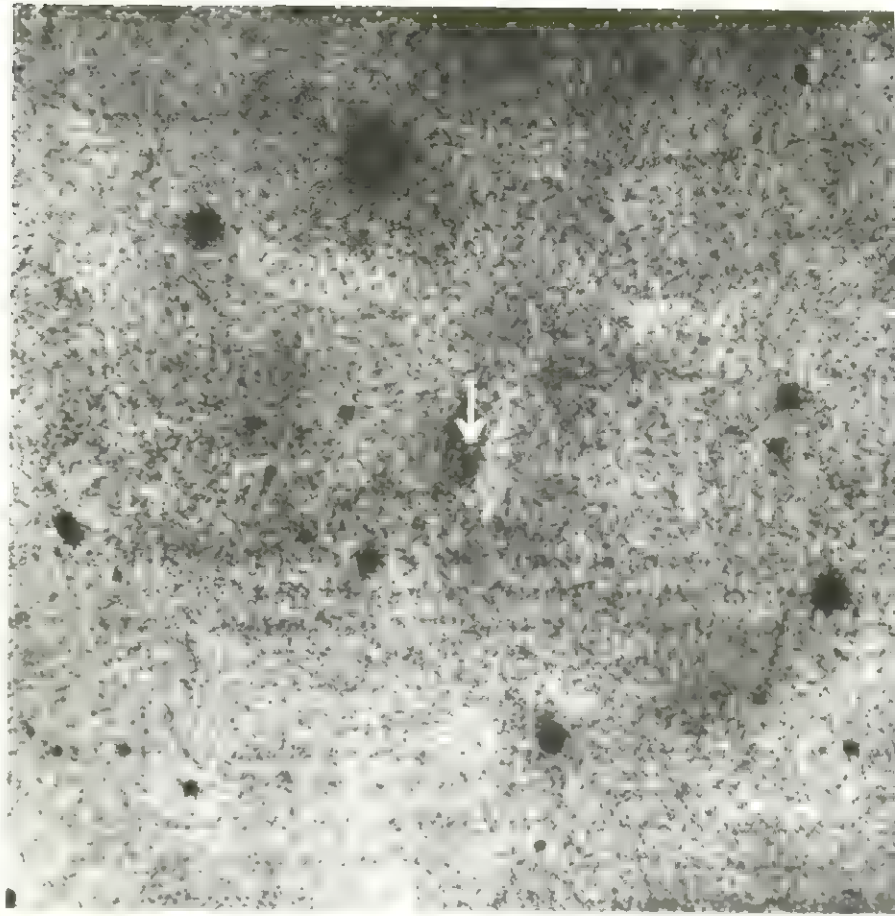
ما هي الكوازارات ؟

ليست الكوازارات نجوما ولا مجرات . فبالرغم من وجود أوجه الشبه بينها وبين النجوم والمجرات ، وبالرغم من أنها جميعا تبث اشعاعا راديويا وضوئيا ، فإن الكوازارات تفرد عنها بصفات

يشير السهم الى مصدر بث راديوي ، هو (٣-٤٨) ،
ويعتبر ثاني أبعد جسم مرئي تم اكتشافه حتى يومنا هذا ..
وقد طُبعت الصورة سلباً لتظهر التفاصيل جلية .

كان لهذا المرقب الراديوي الواقع قرب مدينة سدني في أستراليا،
الفضل الأكبر في اكتشاف الكوازار (٣ س - ٢٧٣) الذي
يشكل مصدراً للبث الراديوي .. ويبلغ قطر طبق هذا المرقب
نحو ٦٠ متراً .

صورة تمثل الكوازار (٣ س-٢٧٣) ، وهي تبين شدة لمعانه .



من اكتشاف ثلاثة أجسام خافتة أخرى غريبة قد تعذر عليهم مشاهدتها انفراديا اذ بدت لهم كنائير راديوية قوية . ولم يجد الفلكيون اسما أكثر مطابقة لهذه الأجسام سوى أشباه النجوم ، ومن هنا تولد اسم « كوازار » ، فرجبت به الأوساط الفلكية .

المطياف

المطياف جهاز يستعين به علماء الفيزياء في تحليل الضوء الى عناصره الأساسية . فعندما يمر الضوء عبر منشور أو سلسلة من الخطوط المحززة على لوح من الزجاج ، يقع طيف الألوان على لوح فوتوغرافي ، فترسم صورة يتخذها العلماء وسيلة للكشف عن أسرار مصدر الضوء . وقد تبين ان طيف نجم ما يمتد من اللون البنفسجي حيث تكون الموجات قصيرة ، الى اللون الأحمر حيث تصبح الموجات طويلة . ويتخلل هذا الطيف عدد من خيوط عمودية مميزة ، بعضها نير وبعضها الآخر معتم ، تشير الى وجود عناصر كيميائية مضبنة .

بهذه الطريقة تمكن علماء الفيزياء من معرفة العناصر الموجودة في جو الشمس ، كما تمكنوا أيضا في عام ١٨٦٨م من اكتشاف عنصر الهيليوم في جو الشمس ، قبل معرفتهم له على سطح الأرض .

وقد أجريت دراسات واسعة بواسطة المقرّب الضخم في « بالومار » الذي يبلغ قطر مرآته خمسة أمتار ، لتتسبب الضوء الخافت مع أحد الكوازارات بالاعتماد على المطياف ، فكانت ألواح التصوير تعرض للضوء نحو سبع ساعات للحصول على صورة واضحة .. غير ان الأطياف المنعكسة على ألواح التصوير كانت غير ملونة ، وكانت مؤلفة من ظلال سود وبيض ، تبين من خلال رؤيتها تحت المجهر بأنها نماذج غريبة طيفية لم يسبق أن شاهدها أحد في الأطياف النجمية من قبل ، الأمر الذي جعل أحد الفلكيين البارزين يفترض بأن الكوازارات هي أجسام كثيفة حامية وقريبة منا ، وهي على الأرجح بقايا نجوم جبارة جديدة ، تحتوي على عناصر غير مألوفة على درجة عالية من التوهج .

ولا بد لنا هنا من الإشارة الى الدور الذي يلعبه المطياف في قياس سرعة الأجرام السماوية عند اقترابها منا أو بعدها عنا . فقد أصبح معروفا في

الأوساط العلمية ، ان طيف الضوء العادي ، ومنه ضوء النجوم ، يمتد من دون الأحمر الى ما فوق البنفسجي ، ويرافق كل لون عدد معين من التمجعات والأطوال الموجية . فاذا تبين ان في طيف جرم سماوي حيودا نحو الأحمر ، أي زيادة في طول الأمواج فمعنى ذلك ان الجسم يبتعد عنا مما يجعل بالامكان قياس سرعة ابتعاده . واذا كان الحيود نحو الأزرق ، أي نقص في طول الأمواج ، فان ذلك يرشدنا الى ان الجسم يقترب منا . هذا وقد أصبح عدد الكوازارات المكتشفة نحو ٩٠ ، وقد تمكن العلماء حتى الآن من تحليل أطياف ٣٠ منها لتعيين الحيود نحو الأحمر بشكل دقيق . ولم يظهر حيود نحو الأزرق في أي من الكوازارات ، وهذا دليل على انها لا تقترب منا . ويعتقد « شميدت » ان ألفا من هذه الأجرام سيتم اكتشافها في السنوات المقبلة .

الكوازارات تبصّرنا لارض بسرعة فائقة

عكف الفلكيون على دراسة هذه الأجسام الجديدة ، بالاستعانة بمراقب ضوئية وراديوية . ولكنهم لم يتمكنوا من الكشف عن حقيقة مصدر راديوي قوي بواسطة أي من هذه المراقب الضوئية ، مما حملهم على توجيه هوائي في أستراليا على شكل طبق يبلغ قطره حوالي ٦٥ مترا ، نحو هذا المصدر المعروف لديهم باسم « ٣ » من ٢٧٣ ، فتم لهم تعيين مركزه بدقة فائقة . وعندما وصلت هذه المعلومات الى الفلكي « مارتن شميدت » في عام ١٩٦٢ ، تمكن بواسطتها من الكشف عن « ٣ » من ٢٧٣ ، وتبين له ان هذا الجسم مستدير بدون انتظام ويشبه النجوم ، وله تنوء بارز خافت . وهكذا تم « لشميدت » اكتشاف أشد الكوازارات المكتشفة حتى ذلك الحين لمعانا .

لقد تركزت دراسات الفلكيين على هذه الكوازارات ، فتبين لهم ان سرعة الواحد منها ، مبتعدا عنا ، تفوق سرعة أي جسم معروف آخر ، وان البث الراديوي من بعضها يتغير بسرعة . كما ان واحدا منها على الأقل ، يقع بعيدا عنا وهو يبتعد عنا بسرعة كبيرة . وقد أدت دراسات كان أحد هذه الكوازارات طرفا فيها ، الى التوصل مباشرة لقياس مقدار الايدروجين غير المؤين ، ضمن الفراغ بين المجرات . ثم تبين لأحد الفلكيين عن طريق المقرّب العاكس في جامعة كاليفورنيا وقطره نحو ٣٠٠ سنتيمتر ، ان أحد الكوازارات يبتعد

عنا بسرعة تساوي ٨١ بالمائة من سرعة الضوء . ويعتقد ان بعد أجسام كهذه بقدر ١٠ بلايين سنة ضوئية . فهي اذاً أبعد ما تمكن الانسان من مشاهدته في هذا الكون الشاسع حتى الآن .

طاقة هائلة تنبعث عن الكوازارات

لم يتوصل الفلكيون بعد الى رأي حاسم بشأن ما تبعثه الكوازارات من طاقة هائلة . وهناك رأيان لتفسير هذه الظاهرة ، مع العلم ان بعض الكوازارات تفوق بلمعانها لمعان مجرتنا ، التي تحتوي على ١٠٠ بليون نجم ، بمقدار مائة ضعف ، بينما يبلغ قطر بعضها جزءا من مائة جزء من قطر مجرتنا . ويظهر ان هذه الكوازارات تكونت من نتيجة انفجارات ضخمة ، رافقتها انطلاق طاقة هائلة تعادل الطاقة المنبعثة مما يتراوح بين ١٠ ملايين و ١٠٠ مليون شمس تقريبا . كان العلماء ، في بادئ الأمر ، يعتقدون ان مصدر هذه الطاقة الهائلة هو عبارة عن تفاعل متسلسل ناتج عن انفجار نجم جديد جبار في منطقة مزدحمة ضمن إحدى المجرات ، بينما قال آخرون ان مصدر هذه الطاقة هو تقلص جاذبي ، حدث في نجم جبار تعادل كتلته ١٠٠ مليون شمس .

وهناك افتراض آخر يكتنفه كثير من التحفظ حول الطاقة الهائلة المنبعثة من الكوازارات ، وهذا الافتراض هو ان أشباه النجوم التي هي عبارة عن مصادر راديوية ، يحتمل أن تكون خطوة أولى في نشوء مجرة كروية تبلغ كتلتها ما يقرب من ١٠٠ بليون شمس . وتبدأ هذه المجرة على شكل غيمة رقيقة من الايدروجين تتقلص ببطء ثم تسرع كثيرا حتى يصبح نصف قطرها بضع مئات من السنين الضوئية ، قبل أن تستقر بفعل قوى دورانية . في هذه الأثناء تتكشف النجوم وتتكون من الغاز بمعدل كبير ، فيعود النظام الى التمدد ثانية . ومن بين كل ٥٠ بليون نجم تقريبا تتكون في هذه المرحلة الأولى ، يوجد نجم بين ١٠٠ أو ٥٠٠ مليون نجم من أقوى النجوم لمعانا . هذه النجوم اللامعة تحترق بالمعدل نفسه تقريبا ، وتكون نهايتها نجوما ضخمة جديدة ، مع انطلاق طاقة اجمالية مقدارها ٦٠١٠ من الأرجات (١) في مدة تبلغ نحو مليون سنة . أما عدد الانفجارات التي تحدثها هذه النجوم الجديدة الضخمة سنويا فتدل الاحصاءات على انه يتراوح بين ٦٠ و ١٤٠

انفجارا في السنة ، وهذا يفسر ظاهرة التغير الذي يحدث في الضوء المنبعث من أشباه النجوم والذي يشكل نسبة مقدارها ٤٠ بالمئة .

لم يقف الأمر عند هذه الافتراضات ، فقد حاول عالم فلكي ، يدعى « هوفمن » استكشاف نتائج افتراض وجود كتلة سلبية . ويشير هذا الفلكي الى ان فكرة الكتلة السلبية شيء طبيعي في النظرية النسبية العامة . وبموجب معادلات « نيوتن » و « اينشتاين » ، تجذب الكتلة الموجبة الكتلة السالبة وكذلك الموجبة ، على ان الكتلة السلبية يجب أن تدفع كلا النوعين من الكتل . ويقول « هوفمن » ان كلا نوعي الكتلة يتمكنان من اشعاع موجات جاذبية . وهذا الاستنتاج يقضي الى تفسير ظاهرة ما يرافق الكوازارات من طاقة هائلة . ولا يزال علماء الفلك يتابعون دراساتهم ، ويخرجون بنظريات وافتراسات عديدة ، لتفسير ما تتمتع به هذه الأجسام الجديدة الغريبة من خواص .

أشعة سينية تنبعث عن الكوازارات

ضوئية . فاذا أخذنا بعين الاعتبار ان هذا الكوازار يبعد عنا مسافة ١٥٠٠ مليون سنة ضوئية ، تبين لنا ان قوة اشعاعه تعادل ١٠٠٠ مليون مرة قوة الاشعاع المنبعثة من هذا النجم .

فانطلاقا من هذه الخطوة ، كرّس أحد الفلكيين وقته لمعرفة ما اذا كان لمعان الكوازار يختلف بنسبة اختلاف قوة ما يطلقه من أشعة سينية . على أمل أن يحصل على طيف لهذه الأشعة يساعد على كشف معظم أسرار الكوازار . وتقتضي هذه الخطوة الاستعانة بأجهزة دقيقة لمراقبة الأشعة زمنيا يفوق الزمن الذي تحتاجه الصورينج ، ولا يتم ذلك الا عن طريق مرقب لهذه الأشعة يحمله قمر اصطناعي ويرتفع به عن جو الأرض ، أو مرقب يقام على سطح القمر . هكذا نرى ان الانسان يفوق في مجاهل الذرة حيث توجد ذريرات متناهية في الصغر ، ثم يحلق في الكون الشاسع حيث لا حد للصخامة الأجرام السماوية وأبعادها ، كل ذلك في محاولة لفهم الأسرار التي تكتنفها وتحكم بها .. فسبحان خالق الكون جل جلاله ■

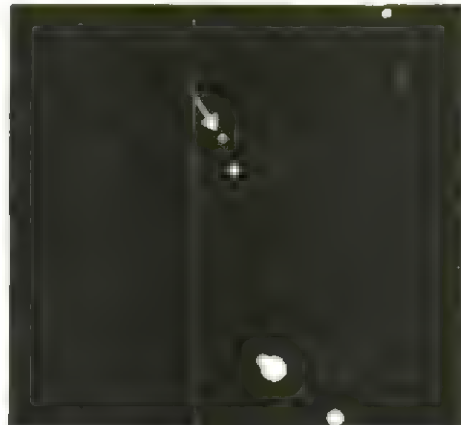
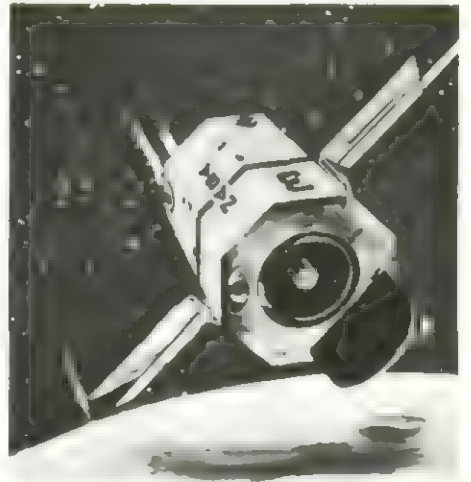
أجمع الفلكيون ، بعد سلسلة من الدراسات والتجارب ، على ان الكوازارات هي أقدم الأجرام السماوية ، وأبعداها مسافة وأشدّها لمعانا ، وعلاوة على هذا ، فبعد قياس ما ينطلق من كوازار « ٣ س ٢٧٣ » من أشعة سينية ثبت ان هذه الكوازارات تعتبر أقوى مصدر لهذه الأشعة . ومن ناحية أخرى ، فقد توصل العلماء الى معلومات جديدة في هذا المجال ، عن طريق أجهزة علمية دقيقة حملتها مجموعة من الصورينج تخطت المحيط الجوي الذي يمتص الأشعة السينية قبل وصولها الى الأرض . وكان من ضمن هذه المعلومات أن سجلت هذه الأجهزة الخاصة أشعة سينية انبعثت عن كوازار « ٣ س ٢٧٣ » ، ومن مجرة ضخمة بيضاوية الشكل ، ومن مراكز ثلاثة تخلو من أجرام سماوية مرئية . وكانت قوة الأشعة المنبعثة من الكوازار الآنف الذكر ، جزءاً من ألف جزء من قوة أشعة تصل إلينا من شبه نجم في برج العقرب يبعد عنا مسافة ٥٠٠ سنة

ب- نور هذا مصدره حول الأرض على نحو ٩٠٠ كيلومتر . ح- في حوله عد من مراقب احزمة بث معلومات من الأرض وتزويج قصير عدسات هذه مراقب من ٢٠ و ٤٠ سنسار . ومعروف ان مراقب على لا شعاع يأتى ذكر ينحرف من هدف هوائي محدد . الأرض وبدي قد هوى وصول الاشارات الراديوية من الأرض

أ- نشر سهم هذا موقع كوكب معروف (٣ من ١٤١) وهو أحد جسم عن مجموعة شمسية اكتشفه علماء حتى الآن . ويقع على بعد ٣٠٠ سنة ضوئية

ب- نشر سهم في هذه الصورة ان حزم مقنور يعرف (٣ من ٢٩٥) وهو أحد محرة راديوية اكتشفه علماء . د- تبعد عن نحو ٤٠٠ مليون سنة ضوئية . وقد صلت هذه محرة تعتبر بعيدة عام ١٩٦٤ ، بعد جسم مرئي .

ج- مثل هذه صورة أحد لأجسام مرئية في بث شعاع راديوي مر . وهو إحدى امحرت اقريبة لب ووقعت ضمن سرج المهره ، وبعد عن نحو ٣٠ مليون سنة ضوئية فقط .



من تراجم النساء وسيرهن

بقلم الأستاذ محمد عبد الغني حسن

وفي ذلك من تقدير النظرة الاسلامية للمرأة وانزالها منزلة ما لا يجوز اغفاله ، وما ينبغي الاشادة به . ومن الحق أن نقول أن مصنفى كتب التراجم والسير في الفكر الاسلامي العربي قد أنصفوا المرأة وأعطوها حقها حين وضعوها في قوائم أعمالهم ، وسجلوها في ثبت الأعلام الذين لا يجوز اغفالهم . فأفردوا بعض النساء بكتابة سيرهن في كتب خاصة قائمة بذاتها ، أو ترجموا لهن مع الرجال سواء بسواء ، في كتب التراجم عامة . ولا يفتقر في ذلك قديم عن محدث ، ولا متقدم عن متأخر .. ففي العصر القديم نجد المؤرخ « أحمد ابن أبي طاهر طيفور الخراساني » المتوفى سنة ٥٢٨٠ هـ وصاحب كتاب « بغداد » المشهور ، يؤلف كتابا في « بلاغات النساء » وطرائف كلامهن ، وملح نوادرهن ، وأخبار ذوات الرأي منهن ، وأسفارهن في الجاهلية وصدر الاسلام . ومن سوء الحظ أن كتاب طيفور في أخبار النساء لم يصل إلينا كاملا ، فقد جارت الأيام على قسم غير صغير منه ، ووصلت إلينا منه قطعة طبعت في العشر الأوائل من هذا القرن بعنوان « المنشور والمنظوم » وبناية المرحوم أحمد الألفي سنة ١٩٠٨ م . وفي القرن السادس الهجري يقوم « أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردي » المتوفى سنة ٥٥٧ هـ بتصنيف كتاب في « تاريخ النساء » كما يذكر ذلك المؤرخ « حاجي خليفة » في كتابه « كشف الظنون » وإن كان المؤرخ ابن خلكان صاحب كتاب « وفيات الأعيان » لم يذكر في ترجمته

جاء الاسلام فأنصف المرأة ، وحدد لها كيائها المستقل ، وحررها من كثير من القيود التي كانت ترسف فيها في عصور الجاهلية ، ورد إليها حق الحياة بعد أن كانت الأثني مهذرة الحق في بعض القبائل ، يثدها قومها خشية العار أو الاملاق ، وأوصى بها أما وزوجة وفتاة ، وكتب لها في الميراث نصيبا مفروضا يتناسب مع ما ألقى على الرجل من تبعات المسئولية المالية وتكاليف الحياة ، بعد أن كانت في الجاهلية محرومة من الميراث ، بل كانت هي بعض ما يورث من التراث .

ولما أحست المرأة المسلمة أن حقها في العلم وحفظ الحديث قد غلبها عليه الرجل ، ذهبت احداهن الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تشكو له ذلك الموقف الجائر قائلة له : يا رسول الله ! ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه ، تعلمنا مما علمك الله . فاستجاب لها الرسول عليه السلام وقال لها : اجتمعن يوم كذا وكذا في موضع كذا . وما كان أسرع صلى الله عليه وسلم الى تقرير ما يوجب الحق أنه حق للنساء ..

وهذا الكيان الكريم المستقل للمرأة المسلمة ، ظل المسلمون منذ العصور الأولى للإسلام يحافظون عليه ، ويظهرونه في أكرم معارضه وأشرف منازلهم . فلم يسقط مؤرخو التراجم والسير المرأة العربية المسلمة من حسابهم ، ولم يغفلوها من تقديرهم ، ولم يحاولوا إخفاءها أو طمس وجودها .

لأبي المظفر الأبيوردي أن له كتابا في تاريخ النساء ولم يدخله في ثبت مؤلفاته (١). ولعله من الكتب الضائعة ، كما أن هناك كتابا آخر في تراجم النساء ذكر « السخاوي » المؤرخ أنه « لابن عساكر » وذكر أن عنوانه « معجم النسوان » . وأغلب الظن أنه كتاب « معجم من سمع منه من النسوان » الذي ألفه في أسماء النساء اللاتي سمع منهن الحديث . وقد اختص « نساء الخلفاء » بكتاب مستقل المؤرخ علي بن أنجب البغدادي المعروف « بابن الساعي » ، والذي ذكره بعضهم باسم « ابن الساعاني » خطأ ووهما . وعنوان كتابه « جهات الأئمة الخلفاء ، من الحرائر والأماء » وقد قام المرحوم الدكتور « مصطفى جواد » بتحقيقه والتعليق عليه وطبعه لأول مرة . وأصدرته دار المعارف أخيرا في مجموعة « ذخائر العرب » .

وصف العصر الحديث نجد شاعرا أديبا هو المرحوم الشيخ « عبد الله غففي » يكتب كتابا عن « المرأة العربية » ويترجم فيه لبعض النساء في الجاهلية والإسلام ، كما يكتب الأستاذ فايد العمروسي كتابا عن « الجواري المغنيات » يترجم فيه لطائفة من أمثال جميلة ، وعزة ، ودنانير ، وعريب ، ومتميم ، وخليدة ، وجيدة وغيرهن .

ومن هنا نرى أن المؤلفين المسلمين لم يغفلوا الترجمة للمرأة المسلمة في أي ميدان كانت فيه ، في القديم والحديث : فترجموا لها شاعرة ، وأديبة ، وراوية للحديث ، وزوجة للخلفاء ، إلى غير ذلك .

على أن مكان المرأة العربية المسلمة في كتب الطبقات والتراجم لا يكاد يخلو منه كتاب عام ، ففي كتاب « معجم الأدباء » لياقوت الحموي نجد تراجم للنساء ولو اتهم قليلات . وفي كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان نجد تراجم كذلك للنساء من أمثال السيدة سكينة ورابعة العدوية ، وأم المؤيد وغيرهن . وفي « الوافي

بالوفيات » للصالح الصفدي نجد تراجم لبعض النساء ، منهن السيدة فقيسة رضي الله عنها ، وفضل الجارية . وفي كتاب « صفة الصفوة » المطبوع بالهند للمؤرخ ابن الجوزي نجد تراجم كثيرة للنساء المشتهرات بالنسك والزهد . وفي « الدرر الكافية » للمؤرخ ابن حجر العسقلاني المصري نجد تراجم لشهيرات النساء العربية والإسلامية في القرن الثامن . وفي عشرات وعشرات من كتب التراجم والطبقات نرى اسم المرأة العربية المسلمة بارزا آخذًا بنصيبه كالرجل على السواء ..

وقد كان من السابقين إلى انصاف المرأة المسلمة في مجال الطبقات مؤرخ السير والمغازي المشهور « ابن سعد » المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ، وصاحب كتاب « الطبقات الكبرى » . فقد كان ما صنعه من الاهتمام بالمرأة المسلمة والاعتناء بالترجمة لها عملا يستحق التنويه به والاشارة اليه ، فقد أنصف المرأة العربية المسلمة حين ترجم للنساء الصحائيات في طبقاته ، وبهذا العمل الجليل نبه من جاء بعده من المؤرخين وكتاب الطبقات والسير والتراجم إلى انصاف المرأة المسلمة في معرض يجب فيه الانصاف بلا خلاف ..

وصف اتجه المؤلفون المسلمون إلى الترجمة للنساء ، كانت نساء النبي عليه السلام أسبق إلى ميادين التأليف بالحديث عنهن والترجمة لهن . فترى أبا جعفر محمد بن حبيب الأخباري الراوية وصاحب كتاب « المحبّر » المطبوع حديثا في الهند يؤولف كتاب « أمهات المؤمنين » وقد نشره أخيرا ببغداد الدكتور حسين محفوظ . ونرى في عصرنا الحديث الأديبة الفاضلة السيدة وداد سكاكيني تؤولف كتابها « أمهات المؤمنين » فلا تتخلف عن ميدان كنا نرجوه من المرأة المسلمة من زمان طويل . وقد كانت الظاهرات من أهل البيت موضعا للكتابة عنهن . والتأليف فيهن في جيلنا هذا ، كما فعل الأستاذ

عبد العزيز سيد الأصل في كتابه « زينب بنت علي » ، والشيخ الدكتور أحمد الشرباصي في كتابه « حفيدة الرسول » ، وكما فعل صديقنا المرحوم الأستاذ توفيق الفكيكي العراقي في كتابه عن « سكينة بنت الحسين » صاحبة الندوة السكينة والطرة المشهورة ، وكما فعلت الدكتورة بنت الشاطيء في كتابها « سكينة بنت الحسين » .

وبهذه الملاقاة من توفيق الفكيكي وبنت الشاطيء على سيرة سيدة واحدة من أهل البيت ، نذكر هنا أن كثيرا من الشخصيات النسائية ، سواء كن من أهل البيت النبوي الكريم أم من غيره ممن المشهورات ، قد التقى على التأليف فيهن أكثر من كاتب واحد ، كالسيدة خديجة رضي الله عنها ، فقد كتب عنها المرحوم عبد الباقي سرور كتابه « خديجة زوجة الرسول » ، وكتبت عنها السيدة بثينة توفيق كتابها « خديجة أم المؤمنين » ، وكان لي حظ ابتكابة عنها مشتركا مع الأستاذ عبد السلام العشري في كتابنا « خديجة بنت خويلد » الذي ظهر في سلسلة « نساء شهيرات » . وكالسيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها ، فقد كتب عنها المرحوم عباس محمود العقاد كتابه « الصديقة بنت الصديق » ، وكتبت عنها الأديبة اللبنانية المعاصرة الدكتورة زاهية قدورة كتابها « عائشة أم المؤمنين » . وكتب عنها الأستاذ سعيد الأفغاني كتابه « عائشة والسياسة » . وكالزاهدة المتصوفة رابعة العدوية ، فقد كتب عنها الأساتذة طه عبد الباقي سرور ، ووداد سكاكيني ، وسنية قراعة ، والدكتور عبد الرحمن بدوي ، كل منهم في كتاب .

ولقد دخل عباس محمود العقاد ميدان السيرة أو الترجمة لبعض شهيرات النساء المسلمات على طريقته الخاصة في التحليل والدراسة النفسية ، وجعل بعض أمهات المؤمنين وبنات النبي مجالا لدراسته ، كما نجده في كتابه « الصديقة بنت الصديق » وكتابه الآخر « فاطمة الزهراء » .

(١) هناك كتاب لأسامة بن منقذ عنوانه (أخبار النساء) . ويشير إليه أسامة في كتابه (الاعتبار) ص ١٦٨ ، وفي كتابه (المنازل والديار) طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ١٦٦ ، ويظهر أنه مفقود .

ومن حسن الحظ أن تنبه المرأة العربية أخيراً إلى واجبها نحو الترجمة وكتابة السيرة لبنات جنسها ، سواء أكان المترجم لها من نساء العرب أم من غير العربيات ، وسواء أكانت مسلمة أم غير مسلمة . ولعل مشكلة الجنس بين المؤلفة وبين المترجم لها تكون أوعى إلى فهم النفسية ، وتحليل الشخصية ، وتقدير المزاج ، وإدراك الخصائص التي تكون المرأة أعلم بها في أختها ، وأقدر على كشفها وإبرازها من الرجل ... وبخبرنا في هذا المقام عشرات من الكتب لعشرات من الكاتبات الفاضلات . ولن نذكر هنا أكثر من الاستشهاد بما كتبه الآتية «مي» عن سيرة «باحثة البادية» و «عائشة التيمورية» و «وردة اليازجي» ، وهي كتب كان لها فضل السبق إلى ميدان التأليف عن المرأة العربية . وكان لمجلة «المقتطف» برياسة تحرير الدكتور يعقوب صروف تشجيع هذه الدراسات النسوية وإعانتها على الظهور . ولن يفوتنا أن نشفع هذا المثال بصيغة من الأمثلة التي تدل على مشاركة المرأة العربية المعاصرة في الترجمة للنساء . فالدكتورة بنت الشاطي لها كتب في تراجم سير : «آمنة بنت وهب» و «نساء النبي» و «سكينة بنت الحسين» و «بطلة كربلاء» والشاعرة «الخنساء» . والسيدة الأدبية وداد سكاكيني لها : «أمهات المؤمنين» و «العاشقة المتصوفة» رابعة العدوية ، وقد صدر في سلسلة «اقرأ» و «مي» زيادة في حياتها وآثارها . ولها كذلك كتاب «نساء شهيرات في الشرق والغرب» مشتركة في تأليفه مع السيدة تماضر توفيق . والسيدة الفاضلة سلمى الحفار الكزبري لها كتاب «نساء متفوقات» الذي ترجمت فيه لطائفة من نساء الشرق والغرب . في القديم والحديث . والدكتورة زاهية قدورة لها كتاب «عائشة أم المؤمنين» ، والسيدة سنية قراعة لها كتاب «أم الملوك الفاطمية» وكتاب «عروس الزهد رابعة العدوية» .

أن المرأة العربية — بما ظهر من مجالي الاهتمام بها والترجمة لها — لم تنف المرأة غير العربية بالترجمة لها في ميدان يتسع لنساء العرب وغير العرب على السواء ... فرأينا الرجل العربي والمرأة العربية يدخلان ميدان التأليف عن المرأة غير العربية سواء بسواء ... فصدّقنا المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد — زميلنا ببعثة التربية والتعليم بانجلترا — يؤلف كتاباً عن العمياء الصماء البكماء «هيلين كيلر» التي تعد أعجوبة العصر الحديث . والسيدة منيرة عبد الجواد دكروري تؤلف كتاباً عن «بيرل بك» أول كاتبة أمريكية فازت بجائزة نوبل في الآداب . والسيدة أمينة السعيد تكتب كتاباً عنوانه «وحي العزلة» تؤرخ فيه لحياة الشقيقات الثلاث : شارلوت برونتي ، صاحبة رواية «جون إير» المشهورة ، وأميلي برونتي مؤلفة رواية «مرتفعات وذرنج» التي أخرجهما السينما الأمريكية إخراجاً رائعاً ، وأن برونتي التي لها مشاركات في تأليف الرواية الانجليزية . والأديب عبد الحق أحمد الحمادي يؤلف كتاباً عن الأدبية الفرنسية المشهورة «جورج صاند» التي شاركت في الأدب الفرنسي بالرواية الرومانسية أولاً ، ثم عدلت عنها آخر الأمر إلى الرواية الهادفة إلى الإصلاح الاجتماعي . وما لا ينبغي أن يفوتنا ذكره في هذا المجال أن نخص كتابين معاصرين ظهرا في ميدان الترجمة لأعلام النساء وطبقتهن وتراجمهن . أما الكتاب الأول والأسبق وجوداً فهو : «الدر المنثور» في طبقات ربات الخدور «للأديبة الكاتبة زينب عبد الله فواز السورية موطناً ومولداً ، والمصرية نشأة وسكناً ، والمتوفاة سنة ١٩١٤م . وقد ترجمت في كتابها هذا لشهيرات النساء في القديم والحديث ، من العرب وغيرهن . فنجد فيه ترجمة «ماجدة» القرشية ، بجوار ترجمة «ماريا تريزا» النمسية ... كما نجد ترجمة «ميتم» الهاشمية بجوار ترجمة «مارجريت»

ملكة انجلترا . وفي هذا الكتاب موكب حاشد من النساء من كل لون ودين وجنس وعصر ومكان . وهو موكب لم تر له مثيلاً في كتب تراجم النساء . والأعلام في كتاب «الدر المنثور» مرتبة ترتيباً معجماً مبتدئة بآمنة بنت وهب أم النبي عليه الصلاة والسلام ، وتنتهي بعد «ولادة بنت المستكفي» في حرف الواو بمن تبدأ أسماءهن بحرف «اللام ألف» .

الكتاب الثاني المعاصر فهو «أعلام النساء» في عالمي العرب والاسلام» للباحث السوري المعاصر الأستاذ عمر رضا كحالة . وقد رتبته على حروف المعجم ترتيباً يسهل على الباحث مهمة المراجعة إلى حد كبير . كما راعى الترتيب في الاسم الأول والثاني وهكذا . وهو — على إيجاز طائفة من تراجم النساء فيه — يعد مرجعاً هاماً للباحثين في تاريخ المرأة العربية المسلمة ، لأنه يختم كل ترجمة بذكر المراجع والمصادر التي وردت فيها . سواء أكانت قديمة أم حديثة .

ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، فإن المؤلفات العربية في تراجم النساء وسيرهن ، يذكرونا بمؤلفات تشتمل على دراسات للمرأة من زوايا مختلفة ، وتعالج قضايا نسائية متنوعة ، مثل كتاب «المرأة في الجاهلية» لحبيب زيات الدمشقي ، و «المرأة في مختلف العصور» لأحمد خاكي ، و «المرأة في الشعر الجاهلي» للدكتور أحمد محمد الحوقي ، و «المرأة في الاسلام» لعبد الحميد إبراهيم محمد ، و «المرأة في حضارة العرب» للمؤرخ الباحث اللبناني محمد جميل بيهيم ، و «المرأة والدولة في فجر الاسلام» وقد كتبه الباحثة العراقية الأمريكية الجنسية «ناية أبوت» بالانجليزية . وكان لي حظ ترجمته إلى اللغة العربية وصدر عن دار المقتطف سنة ١٩٤٣م . وهي كتب ودراسات عن المرأة لن يفوتها الاستحضار في مجال الحديث عن تراجم النساء وسيرهن ■



بستے میں التین السوکیہ "پیرسویجی" ایزہرفیہ نجرانے .
(راہب سقاہ : نجران .. فیحاء الجندیہ) تصویر : علی محمد خلیفہ

الجمال الشامي والبيوت ذات القباب والبساتين الياضات
تضفي على بحران زوغة وجمالاً .. (راجع مقال: بحران .. فيها الجنة)
تصوير: علي محمد خليفات

